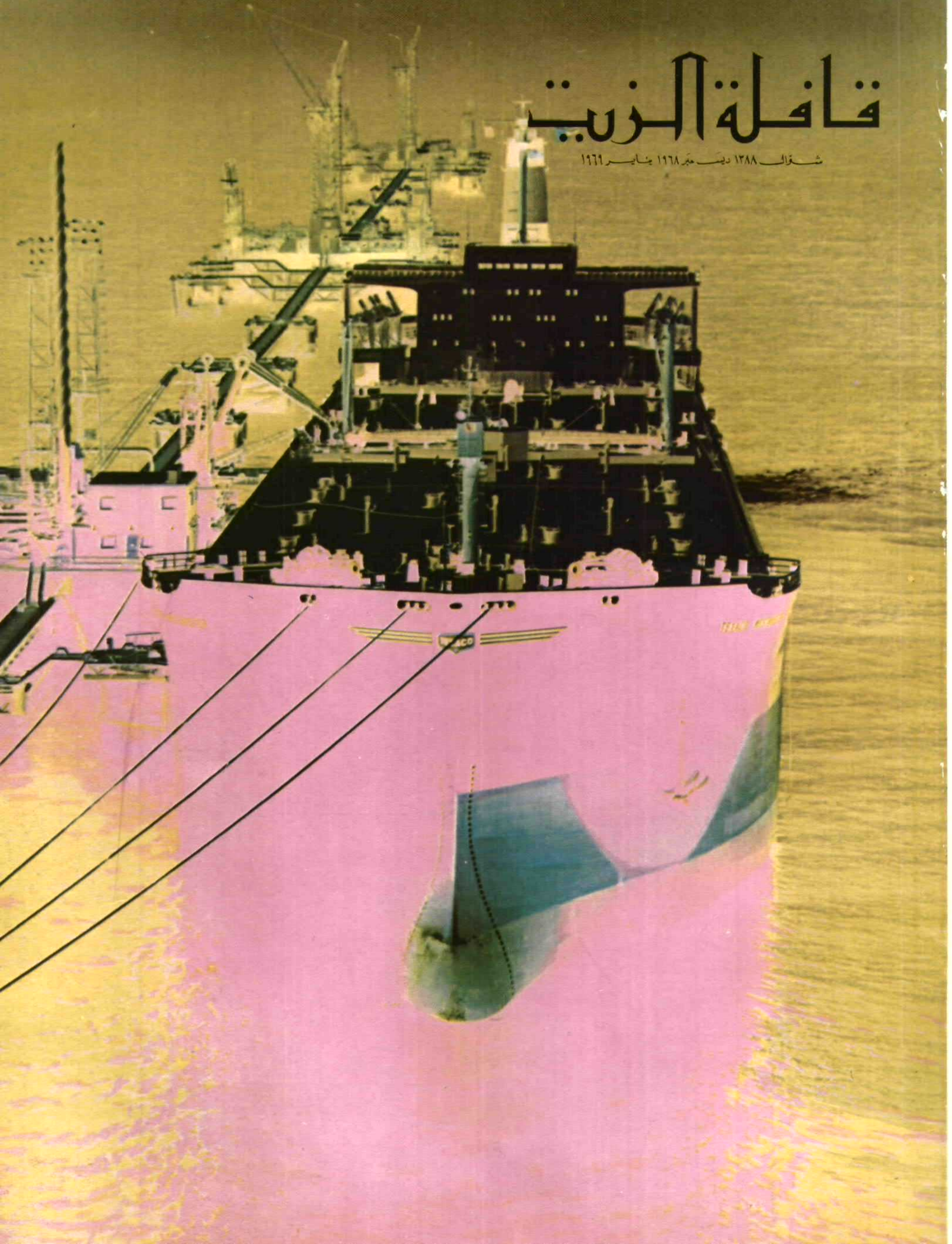


قافلة الزيت

شوال ١٣٨٨ ديسمبر ١٩٦٨ يناير ١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد العاشر — المجلد السادس عشر

تصدر شهرياً عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزع مجاناً

رئيس التحرير والمدير المسؤول منصور مدني
المحرر المساعد عوني أبو كشك

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩
الظهران ، المملكة العربية السعودية

صورة الغلاف



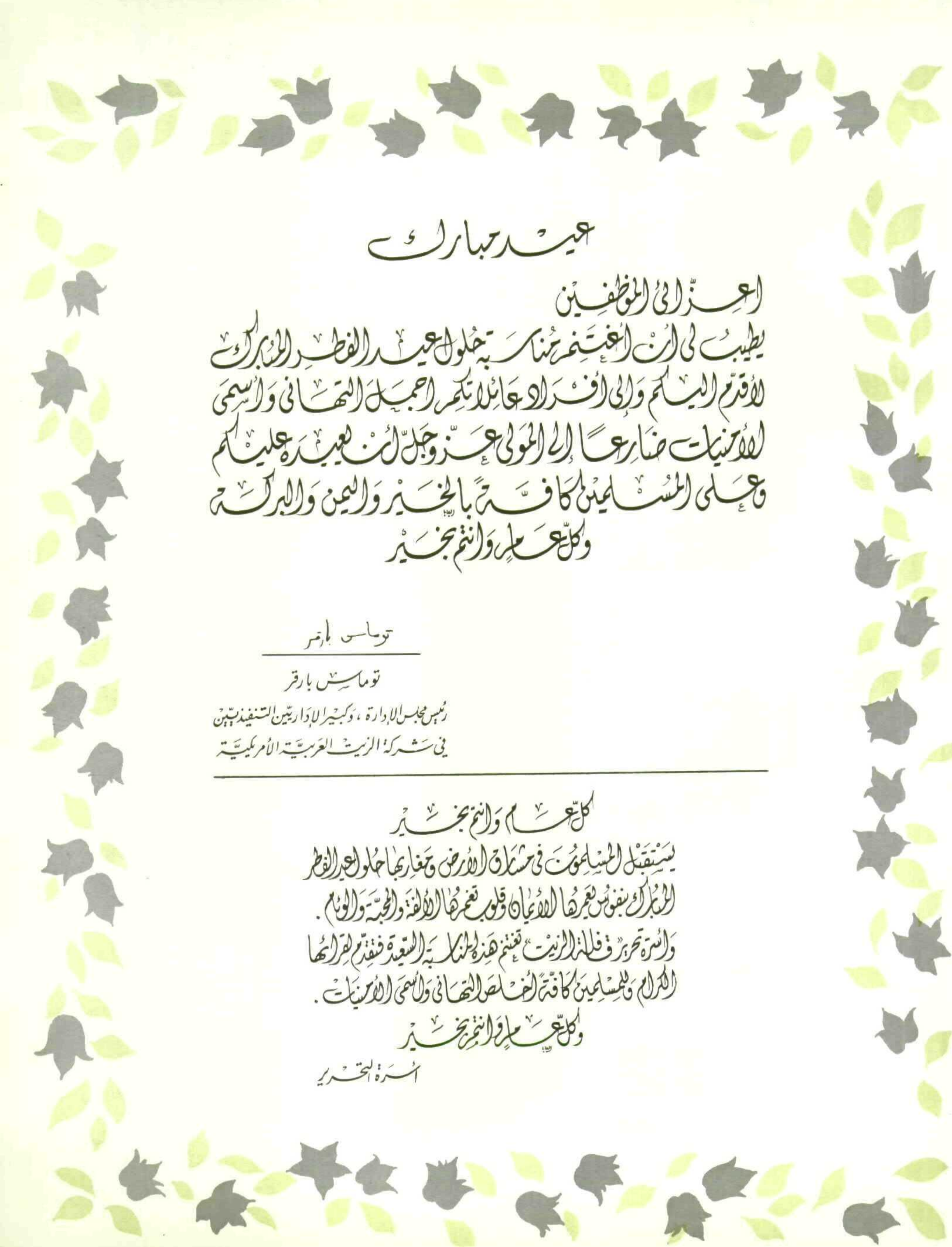
الناقلة « تيكساكو وستمنستر لندن » أثناء تحميلها بالزيت من الجزيرة الاصطناعية في فرضة رأس تنورة . وقد ظهرت الصورة بهذا الشكل نتيجة لاستخدام عدد من مصافي اللون والأنوار الملونة ومسودة الصورة ومبيضتها معا أثناء الطبع .

تصوير « مودي »

مطابع المطوع
Mutawa Press

محتويات العدد

الكاتب — الصفحة



عيد مبارك

أعزائي الموظفين

يطيب لي أن أغتنم مناسبة حلول عيد الفطر المبارك
لأقدم إليكم وإلى أفراد عائلاتكم أجمل التهاني وأسمى
الأمنيات ضارعاً إلى المولى عز وجل أن يعيده عليكم
وعلى المسلمين كافة بالخير واليمن والبركة
وكل عام وأنتم بخير

توماس بارقر

توماس بارقر
رئيس مجلس الإدارة، وكبير الإداريين التنفيذيين
في شركة الزيت العربية الأمريكية

كل عام وأنتم بخير

يستقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها حلول عيد الفطر
المبارك بنفوس يغمرها الإيمان وقلوب تغمرها الألفة والمحبة والوئام.
وأسرة تحرير قافلة الزيت تغتنم هذه المناسبة السعيدة فتقدم لقرائها
الكرام وللمسلمين كافة أخلص التهاني وأسمى الأمنيات.
وكل عام وأنتم بخير

أسرة التحرير

أبياتٌ وقصائدُ حائرةُ النسب

بقلم الاستاذ محمد عبدالغني حسن

لو كان للشعر سجل أو دفتر لقيد المواليد لما صرنا في حيرة من نسبة أبيات وقصائد مشهورة الى أصحابها ، وردها الى قائليها . ويعد عصر الرواية والرواة مسئولا عن اضطراب طائفة من الأبيات والقصائد في نسبها ، وترددها بين شاعر وشاعر . ولو بدأ التدوين والكتابة عند العرب قبل العصر الذي حدث فيه لتجنبنا كثيرا من هذه الحيرة التي تصادفنا فيما روي لنا من تراث حافل ، ولا سيما في الشعر .

ولا شك أن الشعر من أغنى مواليد الفكر العربي . وكان ينتشر في القبائل عن طريق الرواة . وهؤلاء كانوا يعتمدون على الحافظة ، والحافظة قد تخطيء وتصيب ، وقد تنسب ما لهذا لذاك . فليس لها من الضبط ما للتدوين والتقييد بالكتابة . ومن هنا تسرب الدس والخلط والانتحال الى الشعر العربي ، وان كان المدسوس والمنحول والمضطرب النسبة يعد شيئا قليلا جدا بالنسبة الى الانتاج الشعري في جملته .

على أن التدوين في عصور التقييد والكتابة لم يمنع أن يتسلل اضطراب النسبة الى بعض قصائد وأبيات ، لظروف واعتبارات منعت من صحة نسبتها الى قائليها ..

ففي زماننا هذا—وقد بلغ التدوين والتسجيل فيه مبلغهما من الضبط والتحري—لم نعدم أن نجد أبياتا وأشعارا حائرة النسب ، اختلف القول في نسبها الى أصحابها . ولا أزال اذكر البيتين المشهورين :

أقول لهم في ساعة الدفن : خففوا
عليّ ، ولا تلقوا الصخور على قبري
ألم يكف همٌّ في الحياة حملته
فأحمل بعد الموت صخرا على صخري ؟

فقد نسبهما بعض الرواة الى الشاعر حفني ناصف ، ولو أنهما لم يردا في ديوانه المطبوع بعد وفاته ، ولعل قربهما من روح حفني ناصف ونفسيته وظروف حياته هو الذي حمل بعضهم على هذه النسبة ، وخاصة أنه القائل :

أتقضي معي ان حان حيني تجاربي
وما نلتها الا بطول عناء ؟
اذا ورّث الجهال أبناءهم غنى
وجاها ، فما أشقى بني الحكماء !!

وقد نسبها بعضهم الى الشاعر اسماعيل صبري ، لأنهما أليق بقوله :

يا موت خذ ما أبقـ
ـت الأيام والساعات مني
بيني وبينك خطوة
ان تخطها فرجت عني

على أن الأديب أنطون الجميل قد أورد البيتين المختلف عليهما في الصفحة ١٤٠ من مجلد السنة الثانية من مجلته « الزهور » سنة ١٩١١ ، ونسبهما الى الشاعر أحمد شوقي .

ولا أزال أذكر كذلك القصيدة الغزلية الفكاهية التي مطلعها :

يا تين ، يا توت ، يا رمان ، يا عنب
يا خير ما أجنت الأغصان والكتب !

فقد نسبها كثيرون الى الشاعر المرحوم ابراهيم طوقان ، وجعلوها من طريف مضاحكاته أيام كان طالبا في الجامعة الأمريكية ببيروت . وظلت فكرة هذه النسبة سائدة زمنا ليس بالقصير الى أن جاء الشاعر العراقي حافظ جميل في ديوانه « نبض الوجدان » المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٧ ، فأكد على سبيل اليقين أن قصيدة « يا تين يا توت » ليست لإبراهيم طوقان ، ولا لزميله وجيه البارودي ، ولا لطوقان والبارودي وحافظ جميل مشتركين معا في نظمها ، ولكنها لحافظ جميل وحده الذي انفرد بنظمها بعيدا عن المشاركة . ويؤكد حافظ جميل هذا الكلام بقوله : « والحقيقة التي لا مراء فيها هي أن ناظم هذه القصيدة هو أنا لا غيري » .

ولعل الكثيرين لا يعلمون أن القصيدة الدالية التي نظمت في هجاء الخديوي عباس سنة ١٨٩٧م ، ونشرت في جريدة « الصاعقة » بدون توقيع ، هي أيضا من القصائد الحائرة النسب الى صاحبها . فقد زعم قوم أنها للسيد توفيق البكري ، ولكن الشيخ علي يوسف صاحب « المؤيد » سعى في نفي التهمة عنه . وزعم آخرون أن ناظم القصيدة هو السيد علي الغاياتي صاحب « منبر الشرق » . والتحقيق على أنها للسيد مصطفى لطفي المنفلوطي . وهي توجز الصراع بين العرب والترك ، ومطلعها :

رمتنا بكم « مقدونيا » فأصابنا
مصوب سهم بالبلاء سديد

وهناك في القديم أبيات وقصائد مشهورة يختلف الرأي في قائليها ، ويتنازعها أكثر من شاعر . وسيظل الخلاف على أصحابها الحقيقيين قائما ، لأن ملابسات روايتها لا تعين على الضبط على سبيل اليقين ، وان كان بعضها قد كشف التحقيق عن وجه الصواب فيه . فبعض المصادر غير الرجيحة تنسب الأبيات التالية الى السيدة زينب حفيدة النبي عليه السلام ، وهي :

سهرت أعين ونامت عيون
لأمور تكون أو لا تكون
فادرأ الهمّ ما استطعت عن النفـ
ـس فحملانك الهموم جنون
ان ربا كفاك بالأمس ما كا
ن سيكفيك في غد ما يكون

وقد جرى الأستاذ أحمد الشرباصي على هذا القول في كتابه عن السيدة زينب . ولكن الصحيح أنها لعبد الله بن الحسن القرطبي المالقي ، من رجال الحديث والنحو والشعر في القرن السابع . وقد ترجم له الامام السيوطي في « بغية الوعاة » ، وذكر الأبيات له .

وهناك البيتان المشهوران في وصف أحدب :

قصرت أخادعه ، وطال قذاله
فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صُفعت قفاه مرة
وأحس ثانية لها فتجمعا !

فقد نسبهما علي بن سعيد المغربي في كتابه « عنوان المرقصات » الى عبد الله بن الطباخ ، مع أنهما من شعر ابن الرومي المثبت في ديوانه المطبوع بتحقيق كامل كيلاني (ص ١٤٦) .

وهناك الأبيات الضادية الرائعة في وصف ألوان قوس قزح :

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا
على الجو دكنا والحواشي على الأرض
يطرّزها قوس السحاب بأخضر
على أحمر في أصفر أثر مبيضّ
كأذيال خود أقبلت في غلائل
مصبّغة ، والبعض أقصر من بعض !

فقد نسبها ابن سعيد المغربي ، والثعالبي صاحب « يتيمة الدهر » الى سيف الدولة بن حمدان ، كما نسبها بعضهم لابن حماد المغربي ، وان كانت في ديوان ابن الرومي على أنها من أصيل شعره .

والمشتغلون من أدبائنا وشعرائنا بالبيان ونقد الشعر تصادفهم الأبيات الحائية العذبة السلسة التي منها :

فلما قضينا من مِنىً كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

فقد ذكرها علي بن سعيد المغربي على أنها من الشعر المرقص لكثير عزة . وذكرها أبو هلال العسكري في « الصناعتين » ولم ينسبها لقائل ، بل قال : كقول الشاعر . وكذلك فعل ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » ، وابن جني في « الخصائص » ، وياقوت الحموي في « معجم البلدان » وأبو علي القالي في ذيل « الأمالي » ، والجرجاني في « أسرار البلاغة » . أما الشريف المرتضى فقد نسبها في « غرر الفوائد ودرر القلائد » الى « المضرب » ، وهو حفيد الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى . وقد نسب صاحب « معاهد التنصيص » بعض أبيات القصيدة الى الشاعر ابن الطثرية ، ثم أعاد نسبتها وروايتها عن أمالي الشريف المرتضى . وهي مذكورة في ديوان كثير عزة ، مما جعل المحقق عبد العزيز الميمني

الراجكوتي – من علماء عصرنا – يؤكد أن غير واحد نسبها لكثير .

ومن أعجب ما نذكره للشعر الحائر النسب الأبيات التالية ، التي اشتهرت على أنها لبشّار : –

اذا كنت في كل الأمور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانــه
مقارف ذنــب مــرة ومجانبــه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت ، وأي الناس تصفو مشاربه ؟

فقد نسب بعضهم طائفة من أبيات القصيدة الى الشاعر المتلمس الضبعي ، وهو من «ضُبَيْعة» ، قبيلة الشاعر ، كما نسبها بعضهم الى بشار بن برد . وقد كذب بشّار نفسه نسبتها للمتلمس . فقد أخبره أبو عبيدة الراوية أن شبيلا الضبعي أخبره أنها للمتلمس ، فرد عليه بشار قائلا : كذب والله شبيل ! هذا شعري مدحت به ابن هبيرة . والعجب أن القصيدة كلها في ديوان بشار ، ولكن فيه أنها قيلت في مدح مروان بن محمد مروان ، لا ابن هبيرة ، فوقعنا بهذا في حيرة أخرى من ناحية الممدوح !

وكلنا يذكر القصيدة الدالية الغزلية الرقيقة التي يقول فيها صاحبها :

نالت على يدها ما لم تنله يــدي
نقشا على معصم أوهت بــه جلدي
كأنه طرق نمل فــي أناملهــا
أو روضة رصعتها السحب بالبرد

والتي منها البيت البديعي المشهور :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس ، وسقت
وردا ، وعضت على العناب بالبرد

فقد قام شك كثير حول هذه القصيدة وصاحبها . فمن قائل انها ليزيد بن معاوية . ومن قائل انها للوأواء الدمشقي . ولكنها لم ترد في مخطوطات الديوان لهذا الشاعر ، مما حمل محققه على إلحاقها بذيل الديوان من الشعر المنسوب للوأواء وغير المقطوع بصحة نسبه . على أن الثعالبي نسب أربعة أبيات منها في « يتيمة الدهر » الى ابن طباطبا العلوي . ويقال ان هذه الدالية قد ظفرت من الشعراء بأكبر عدد ، فقد تنازعها سبعون شاعرا !

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فان القصيدة العينية المشهورة ، التي مطلعها :

أستودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعتــه وبودي لــو يودعنــي
صفو الحياة وأنــي لا أودعــه

قد نسبها بعضهم الى « الوأواء الدمشقــي » ، كالثعالبي صاحب « يتيمة الدهر » . في حين ينسبها العاملي صاحب « الكشكول » الى ابــن زريق البغدادي .

ولعلنا نذكر الأبيات الميمية الرائعة في وصف واد مشجر يبدو الحصى في أرضه كحبات العقد المنفرط ، فتحسب الحسناء أن عقدها قد تناثر على الأرض ، فتلمس جوانبه على صدرها باحثة عنه :

وقانــا لفحــة الرمضاء واد
سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنــا دوحه فحنا علينــا
حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنــا عــلى ظمــأ زلالا
ألــذ من المدامــة للنديــم
يصد الشمس أنــى واجهتنا
فيحجبــهـا ، ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيــم

هذه الأبيات التصويرية الجميلة قد نسبها الأديب الوزير علي بن سعيد المغربي الى الوزير أبي الفتح المنازي ، وذكر أنها من المرقص الذي لا يوجد في معناه مثله . ولكن المقري صاحب « نفح الطيب » يؤكد في الجزء الثاني أن الأبيات لحمدة أو حمدونة بنت زياد الأندلسية ، وأنها قالتها ، وأُثبِتَتْ لها قبل أن يولد المنازي ويخرج الى الوجود .

ومن العجيب في أمر نسبة هذه الأبيات أن المؤرخ ابن العديم صاحب « تاريخ حلب » ذكر أنها للمنازي ، وأن المنازي أنشدها أبا العلاء المعري بيتا بيتا ، وأن المعري كان يكمل المصراع الثاني من كل بيت قبل أن يسمعه من المنازي !

ومن المدائح الرقيقة الحائرة في نسبها الى صاحبها ، الأبيات القافية التي قيلت في مدح عبد الله بن طاهر بن الحسين :

عجبت لحراقــة ابــن الحســ
ــين كيف تسير ولا تغــرق
وبحران ... من تحتها واحد
وآخــر من فوقهــا مطبــق
وأعجب مــن ذاك عيدانهــا
وقــد مسها كيف لا تورق ؟!

فقد نسبت في « العقد الفريد » الى الشاعر دعبل ابن علي الخزاعي المتوفى سنة ٢٤٦هـ . وفي « طبقات الشعراء » و « معجم الأدباء » و « فوات الوفيات » و « معاهد التنصيص » نسبت الى عوف ابن محلم الخزاعي . وفي « الابانة » نسبت الى علي بن جبلة . وفي « شرح المضنون به على غير أهله » نسبت الى أبي الشمقمق .

وبعد ، فان ضيعة النسب في هذه الأبيات والقصائد لا تمنعنا من الاعتراف بجمالها وروعة بعضها ، وان كان هذا الجمال خليقا أن لا يراع بالضياع ■

على مشارف طيبة

للشاعر عبد السلام هاشم حافظ

رُبى الايمان تيهي وازدهي عزّاً على الدنيا بأعيادك
فعيد الناس أيام بهيجات ستمضي عبر أمجادك
وأنت النور والتذكار .. أعيادٌ مضيئاتٌ بأطيابك
ويجلوها لنا حبٌ يرجّي هاتف الغفران في بابك

رُبى الايمان في حيِّ الرسول الأعظم السامي أجيبينا
يناديك الفؤاد الظامىء الشاكي على شوق المحبينا
ينادي فيك آمال الغد المرقوب ، هلاّ عنه ترويـنا ؟
ونلقى فيك .. في أجوائك الشمّا – قداسات تغذينا

ربى الدين اشهدي ، فالناس ضلوا منهج الايمان وارتابوا
تفانوا في متاع النفس ، حتى ساقهم للتيه إرهاب
تجافوا الحق بالحرية النكراء .. يا للقوم قد خابوا !
فان ذلوا فمن تفريطهم في أمرهم .. هاموا وما ثابوا !

رُبى الايمان مرحى سؤدد الدنيا لنا .. نادى به جندك
بحول الله والتوحيد نبني دولة الاسلام والمسلك
حياةٌ عزها يبقى بأمجاد .. والا دونها المهلك
فعودي وازدهي بالعيد .. عيد العرب في نصرٍ به نملك



تأملات في قيمة الثقافة

الحضارة الحقيقية للجماعة هي التي تقترن بالثقافة . وقد تكون الجماعة متقدمة من الوجهة المادية ، أي من حيث التنظيم الاقتصادي والرقي الاجتماعي ، ولكنها تبلغ مبلغ الحضارة متى اقترن رقيها المادي برقي فكري ووجداني ، يتمثل في ارتفاع ثقافة الناس وفي اقبالهم على التزود من روائع الآداب والفنون والعلوم .

فاذا ظل الفرد يتبرم بالمطالعة المتواصلة والتثقف الدائم ، ويكتفي بما أحرز من شهادات ، وينظر الى الثقافة نظرة مصلحة مجردة ، ويتخذ منها وسيلة من وسائل الارتزاق أو الوجاهة الاجتماعية ، يكون قد بدأ يجمد وينحط . وهو حينذاك يؤثر بدوره في المجتمع الذي يحيط به ، فيسيء الى حضارته الفكرية والمادية .

الشخصية والثقافة

الانسان موزع النفس ، مشتت الشخصية . فهو تارة يحس أنه خير ، وتارة يحس أنه شرير . بل هو يحس في بعض الأحيان أنه خير وشرير في آن واحد ، وأن العاطفة الصالحة التي تخامره الساعة لا تلبث أن تقترن بعاطفة سيئة قاهرة ، وأن العاطفتين تتجاوران وتتحدان في منطق سري يحيره ويذهله وتتكسر حياله رغبة الخير التي ينصحه باتباعها صوت ضميره . فهو مع عواطفه في حرب دائمة ، يحاول أن يفهمها ويحكم الصلة بين أسبابها ودوافعها ، ويرجع بهـذه الأسباب والدوافع الى مصادرها ، خشية أن يتخبط ويرتطم ولا يبصر غير فوضى وظلام .

فحياته تشبه سيلا جارفا غير منظور ، واحساساته تشبه مياها متدفقة منحدرة من جوانب مجهولة لتتوزع في طرق متضاربة ومجهولة أيضا ، وشخصيته تشبه مجموعة من طيور عجيبة تتنقل من غصن الى غصن ومن جو الى جو ، ولها في كل غصن حياة ، وفي كل جو شقاء مستقل ، أو سعادة مستقلة .

فالثقافة هي التي تنقذ الفرد من هذه الفوضى ، أي من التوزع والتشتت الكامنين في طبيعته . وهو كلما أقبل على شتى الآراء التي تزخر بها أعمال كبار رجال الفكر ، وكلما أنعم النظر فيها ، وفاضل ووازن بينها ، واستخلص منها ، بمجهوده الذاتي ، حقائق يرتاح اليها عقله ، وينمو بها ذهنه ، كلما أصبحت شخصيته ثمرة جهاده . فيستطيع حينئذ أن يغالب توزعها ، ويقر فيها النظام ، ويقهر الفوضى ، وينزع بها الى التماسك والترابط والوحدة ، بحيث تستحيل الى قوة قادرة على فهم الحياة ، ومعالجة أحداثها وفق آراء محصها العقل ، ولمس نتائجها في الواقع اليومي الحي .

فمثل الانسان تجاه ذاته والعالم ، كمثل رجل ولد في بهو قصر عظيم أقفل كل باب من أبوابه بقفل خاص . فأبواب هذا القصر المغلقة هي أسرار النفس والعالم ، والرجل ان لم يوفق الى صنع مفتاح لكل قفل وباب ، عاش في بهو ذلك القصر أسيرا ولم يستطع أن يمتلكه وينعم بما فيه . أما لو نفض عن نفسه غبار التبلد ، واعتزم الانطلاق من ربقة الماديات المسفة ، وألهب في كيانه شعلة الفكر والروح فلا بد أن يتحرر من اساره ، فيفتح بكل معرفة بابا ، ويكشف بكل معرفة سـرا ، ويصبح فـي مقـدوره أن يبسط سيـادته وسلطـانه على نفسه .

الثقافة والحافظة

لا تثمر الثقافة بقوة الحافظة ، بل بقوة الفكر . ونحن لن نتعلم شيئا مذكورا الا اذا طرحنا كل ما حفظناه . وأنت لن تتقدم خطوة واحدة في دراسة شيء معين اذا نظرت الى هذا الشيء بالعين التي ينظر اليه بها غيرك أو التي تعلمت أن تنظر بها اليه . فلكي تفهم هذا الشيء تماما ، يجب أن تنعم النظر فيه كأنه كان مجهولا منك ، وكأنك تراه الآن لأول مرة . وهكذا تصبح أنت والشيء تجاه فكرك فقط . فيتقد فيك الفكر المستقل ، فتستطيع أن تبدع الجديد الفذ متغلبا على الحافظة وما تخلف فيها من رواسب كل فكر غث أو شـائع ومألوف .

ومع ذلك ، فينبغي أن تذكر دائما أن آراءك التي استخلصتها من ثقافتك لا يمكن أن تكون آراء فاصلة وقاطعة مهما بدت لك سليمة وعميقة . واحذر ما قد يتولد في النفس من كبر واعتداد ، واستمع لآراء غيرك ، حتى ولو كان من متوسطي العلم والذكاء . اذ من يدري فقد يكون متوسط العلم أو الجاهل ذا بصيرة مشرقة ، تنبثق منها في مثل لمح الطرف أروع حقيقة ، فيفضي اهمالك ذلك الجاهل أو المتوسط العلم الى عكس ما تنشد في الثقافة من سماحة عقل ، وتواضع فكر ، واستزادة معرفة.

بين العقل والعاطفة

اذا راق لك رأي من الآراء ثم أردت أن تتقي الخلط بين فضيلة التمسك بالرأي ورذيلة التعصب له ، فافهم أن التمسك بالرأي يجب أن يكون قوة ايجابية تنبع من عقلك وثقافتك لتستقر في عاطفتك ، لا قوة سلبية مفتونة تنبع من عاطفتك لتستقر في العاطفة نفسها .

فبقدر ما يشترك عقلك المثقف في تكويـن رأيك ، تتجلى فيك القدرة على التمسك بهذا الرأي والقدرة على العدول عنه في تسامح ورحابة صدر ، متى اقتنعت بأن ما يناقضه هو الحق . وبقدر ما تشترك عاطفتك في تكوين رأيك ، يرسخ هـذا الرأي في وجدانك على أساس الباطل والتعنت والتعصب . ذلك لأن العاطفة المجردة تؤخذ بالظواهر ، وقل أن يتعمق أصحابها عند البحث في حقائق الأشياء .

انظر الى العالم

اننا ما زلنا نتأثر بعدد معين من الثقافات الأجنبية يسيطر على عواطفنا ، ويصدر عنه وحي تفكيرنا واحساسنا . فالذي تثقف منا ثقافة انجليزية يمجد الروح السكسونية ، والذي تثقف ثقافـة فرنسية يشدو بالعبقرية اللاتينية ، والذي أحرز قسطا وافرا من ثقافة الالمان يسخر بالثقافتين المتقدمتين ،

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

ويجل العقل الجرماني . فكل فرد من هؤلاء يتجه في حياته ومنزعه اتجاها خاصا ، ويحاول أن يطبع فكره وأعماله وجهوده بطابع تلك الثقافة التي تشربتها نفسه .

ولقد نشأ عن هذا ان وجد بيننا نوع من التعصب لثقافة معينة يهدد وحدتنا المعنوية ، ويوسع شقة الخلاف بين أفراد الجماعة ، ويضعف احساسنا بشخصيتنا المبدعة المستقلة .

بيد أن حضارة اليوم أصبحت عالمية ، وكذلك ثقافة اليوم أصبحت عالمية أيضا . فواجبنا الآن ونحن نشترك في هذه الحضارة التي هي وثيقة الصلة بتراثنا ، والتي نريد أن نضيف اليها المستحدث الطريف من مولدات عبقريتنا ، واجبنا أن نقتدي بأقطابها ، وأن نعظم الفكر نفسه ، لا الفكر ممثلا في ثقافة معينة لا تتفق مع نفسيتنا وبيئتنا .

وأما ثقافتنا العربية العريقة ، فينبغي أن نحرص عليها ، ونعمل على احيائها وتطويرها دون أن نعرقل تقدمها بدعوى أن الحفاظ على القديم هو الذي يصون شخصيتنا . ان الانطواء يقتل الشخصية ، ولا يبعثها . فاذا انطوت الثقافة العربية على نفسها قيدت عقولنا ، وأخمدت مواهبنا ، وباعدت بيننا وبين تطور الفكر والعالم .

واذن ، فلا اكتفاء بأية ثقافة ، ولا تعصب لأية ثقافة ، بل اتجاه نحو ثقافة عالمية شاملة ، واسعة الأفق ، رحبة الفسحات ، تستمد قواعدها من مخلفات الفكر في شتى الأمم كي تنحدر وتنصب آخر الأمر في الطينة العربية ، تعزيزا لأمجاد العرب ، واقرارا للانسجام المعنوي بين أفرادهم ، ومضاعفة لاحساسهم بشخصيتهم المميزة وخصائص كيانهم المستقل .

ولقد أصبحت الثقافة الآن نظرية واقعية ، تجريدية وعلمية ، محلية وعالمية .

فالرجل العصري المثقف حقا هو الذي يقرأ في الأدب من الأغارقة الى شكسبير ، وجيته ، وبلزاك ، حتى براوست ، وجويس ، وتوفيق الحكيم . ويقرأ أيضا مخلفات الفكر عند اليابانيين ، والهنود . ويحاول في الوقت عينه أن يقف على النظريات التقنية الحديثة كي يتصل بعصره وبالحقائق الأخيرة التي كشف عنها العلم التجريبي الحديث الذي تمتاز به الحضارة المعاصرة . فالغاية المثلى هي اقتران الثقافة النظرية الشاملة بالثقافة العلمية المتجددة الراهنة .

وليس لنا أن نقارن ونفاضل بين هاتين الثقافتين . فكلتاهما تنبع من مطالب عميقة أصيلة في كيان البشرية ، وهي ضرورية لارتقائها . فالثقافة النظرية من فلسفة ، وأدب ، وفن ، تخاطب عقل الانسان وقلبه ووجدانه وروحه ، والثقافة العلمية التجريبية تخاطب عقله كي تسخر له القوى الطبيعية ، وتحكم الصلة بين واقعه ودنياه وعصره . فقيمته كامنة في الجمع بين الثقافتين . أما اذا غلب في نفسه الثقافة النظرية الخالصة ، فهو لا بد أن يصبح مخلوقا متأملا حالما خياليا مقطوع الصلة بواقعه وعصره . واذا اكتفى بالثقافة العلمية المجردة ،فهو لا بد أن يصبح مخلوقا عمليا جافا ، ينظر الى الواقع والمصلحة فقط ، فيحبسه الواقع في سجنه المادي ، ويميت فيه آخر الأمر كل حاسة عليا .

وفي اعتقادي أن لا مفر لحضارة المستقبل من أن توفق بين الثقافتين ، فيتبناها الانسان الذي سيجمع بين الأدب والعلم .. بين الثقافة والصناعة ، بحيث نستطيع أن نتمثله منذ الآن في شخصية عامل ميكانيكي يقود قطارا كهربائيا ، وهو في قرارة نفسه يتغنى بأشعار هوميروس التي تمجد سرعة فرسان طروادة ..

الثقافة والارادة

على أن علينا أن نضع نصب أعيننا حقيقة نفسية هي من الأهمية بمكان عظيم ، وهي أن لا ثقافة بدون منهج ، ولا منهج بدون ارادة . وأنت مهما حاولت ، فلن تثقف أبدا عقلك ، ولن تظفر بقسط وافر من العلم والأدب والفن تسمو به شخصيتك ، الا اذا كنت قد اخترت من مختلف المؤلفات العالمية ما أجمع كبار النقاد على جودته ، ثم استنهضت — ما استطعت — ارادتك ، ورسمت لك بالعزم والارادة منهجا معينا يتمثل في ساعات محددة من اليوم أو الأسبوع ، تخلو فيها الى نفسك ، وتنكب على تلك المؤلفات ، وتطالع منها ما كان علما في الساعات المرصودة للعلم ، وما كان أدبا أو فنا في الساعات المرصودة للأدب والفن . وذلك في أناة وصبر وتأمل فاحص دقيق .

فالنزول على حكم المنهج ، والمثابرة عليه ، والاستمرار في تنفيذه ، فضائل نفسية وخلقية تضاعف من قوة ارادتك ، وتضاعف في الوقت عينه من ظمئك الى المعرفة وولعك بالتثقف ، فيصبح حب المعرفة والتثقف عادة فيك ، فتتطور هذه العادة على مر الزمن وتصبح جزءا أصيلا من طبيعتك . وعندئذ تشعر أنك قد امتزت وارتفعت ، وأنك حقا تعيش بما يجدر أن يعيش من أجله الانسان .

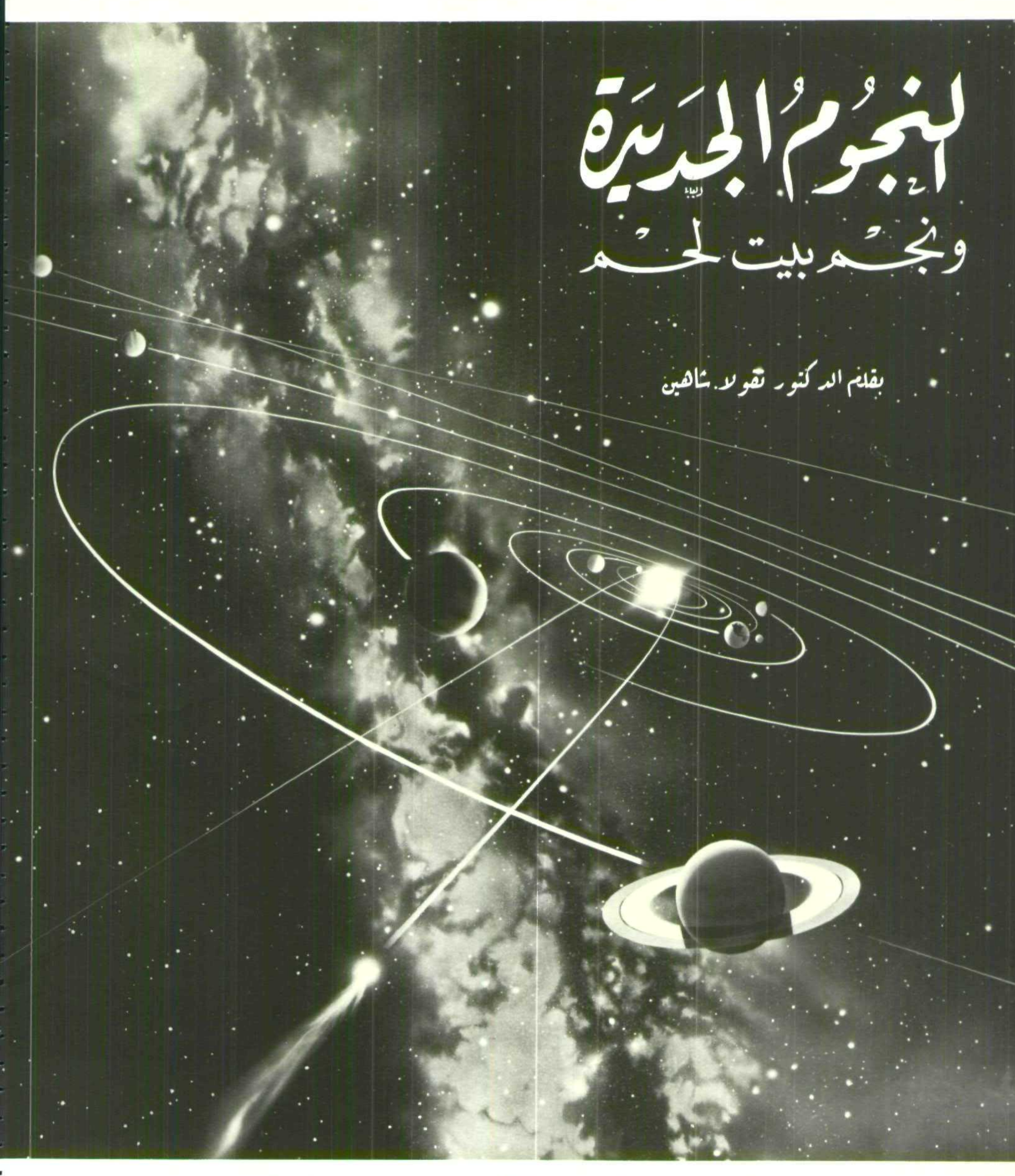
البيت هو المنبع

ويجب ألا نغفل بعد هذا ، النظر الى البيت . فالبيت هو منبع الثقافة ، ولا ثقافة الا في البيت المنظم الهادىء الذي يمكن أن يجد فيه الفرد حياة الفكر والروح .

فالبيت المثالي هو البيت الذي تجد الثقافة فيه مكانا أثيرا وموضعا ممتازا ، فتتسع جنباته للكتب ونفائس الدوريات ، ويشيع فيه روح حب العلم بين جميع أفراده . فاذا شارك جميع أفراد البيت في هذا الجو الفكري الجميل ، كل بحسب ما يسرته له ميوله واستعداداته ، واذا انتظمت أمور البيت العاطفية ، واذا كان الهدوء طابع الحياة المنزلية ، والهناءة صفتها ، والنظام أساسها ، استطاع أفراد الأسرة جميعا أن يأخذوا من أسباب الثقافة قدرا موفورا .

ان مثل هذا البيت هو الذي يلهب في الانسان حافز التثقف ، وهو الذي كانت وما تزال تشع منه أضواء الفكر على العالم .

فاذا شئت أن تحيا الحياة المعنوية الخليقة بانسان مثقف ، فاعرف قبل كل شيء كيف تصنع مستقبلك ، وكيف تنشيء هذا البيت المثالي المنشود ■



النجوم الجديدة ونجم بيت لحم

بقلم الدكتور نقولا شاهين

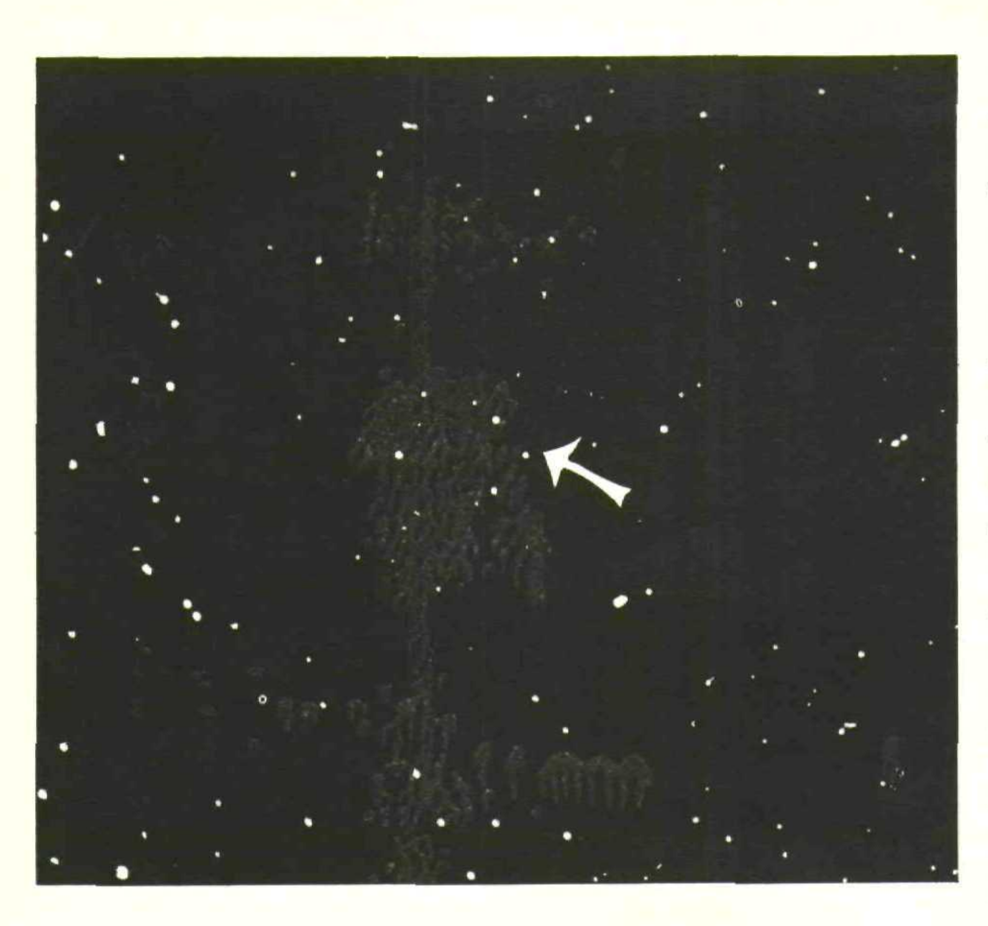
تمثل هذه الرسمة المجموعة الشمسية وخطوط مسيرة الكواكب فيها ، وتبدو خلفها المجرة واضحة في السماء .

عندما نرفع أبصارنا الى القبة الزرقاء ليلا ، نشاهد أجراما عديدة منيرة ، تظهر وكأنها ثابتة في مواقعها بالنسبة لبعضها البعض ، وتؤلف تجمعات ذات أشكال أوحت للانسان أن يعطيها أسماء حيوانات أو طيور أو آلات ، نظرا للشبه الكبير بين هذه التجمعات وبين ما هو موجود على سطح الأرض .. تلك هي النجوم . ونرى أحيانا كوكبا أو أكثر تنتقل من موقع الى آخر بالنسبة الى نجم ما ، وغالبا ما يكون أشد لمعانا من النجوم الأخرى .. تلك هي الكواكب السيارة . وهي عبارة عن أجرام سماوية مظلمة ينعكس عليها نور الشمس وحرارتها . وقد عرفت مدة دورانها حول نفسها وحول الشمس بدقة تامة ، بحيث أصبح من السهل معرفة موقعها بين النجوم الثابتة على مدار السنة . أما النجوم الثوابت فانها منيرة ، وكثير منها أكبر حجما من الشمس ، وأشد لمعانا منها ، بيد أننا نراها نقطا من نور لبعدها الشاسع عنا .

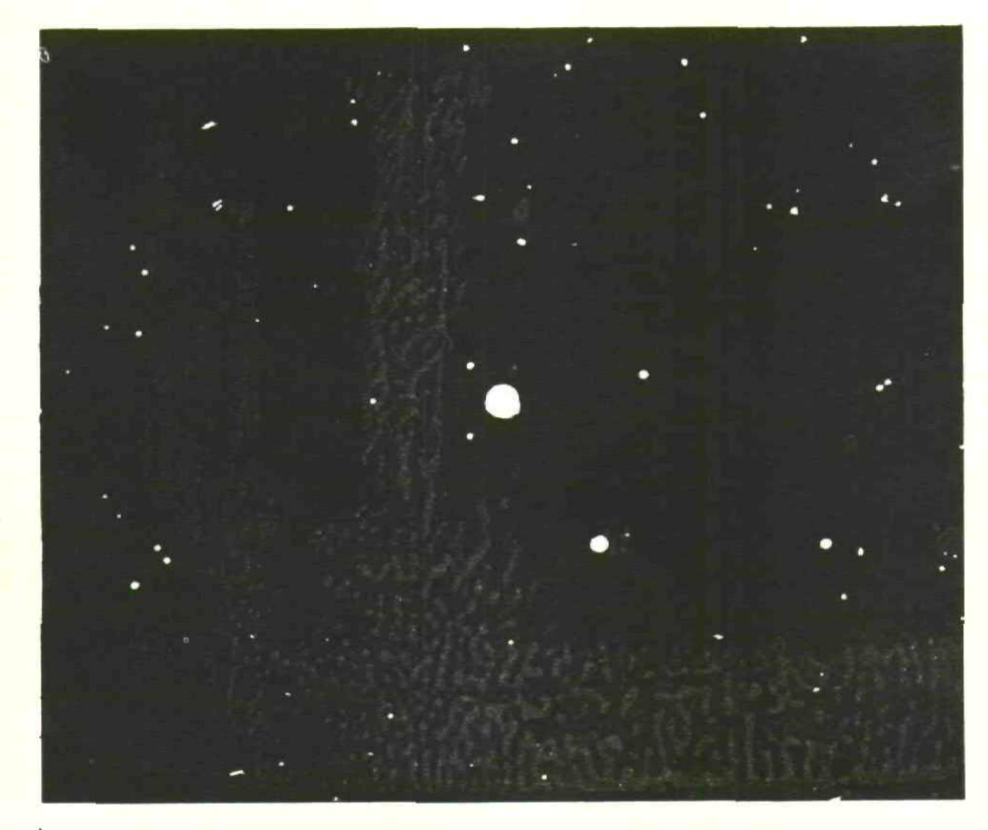
وقد يخيل لمن يراقب النجوم بالعين المجردة انها لا تحصى لكثرة عددها ، والواقع ان عددها يبلغ نحو ستة آلاف نجم ، غير أنه لا يمكننا أن نرى سوى نصف هذا العدد في آن واحد هي التي تواجه الجزء الذي نقف عليه من الأرض . وفي المدن تحجب المباني والأشجار والأنوار الساطعة قسما كبيرا من هذه النجوم ، لذلك يؤثر الخبراء بناء المراصد الجوية في بقع بعيدة ، كقمم الجبال حيث لا تعترضها حواجز ولا مؤثرات جوية أخرى ، كالرطوبة مثلا . ويبلغ عدد النجوم ، التي يستطيع المرقب العاكس على قمة جبل « بالومار » في جنوبي كاليفورنيا تصويرها ودرسها ، ١٠٠ بليون بليون نجمة ، وذلك بواسطة مرآة عاكسة يبلغ قطرها خمسة أمتار .

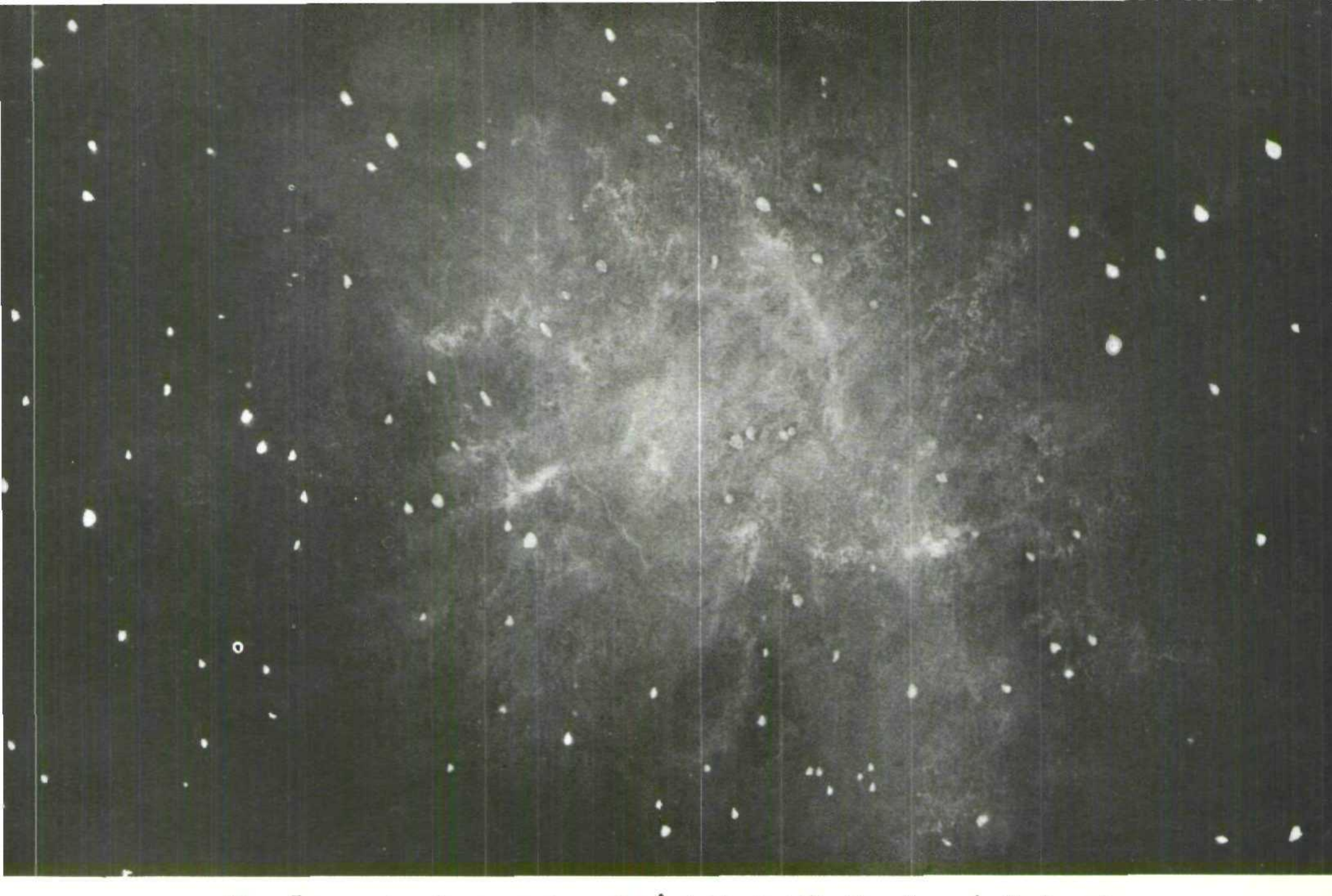
لقد تعددت النظريات واختلفت الآراء بصدد المراحل الأولية التي تمر بها النجوم في نشوئها . وكثيرا ما نرى الفلكيين يغيرون آراءهم من وقت الى آخر ، بسبب الاكتشافات الجديدة والحسابات الدقيقة التي تواكب تطور علم الفلك . ويمكن معرفة المراحل الأولية لنشوء النجوم بتتبع نشوء النجوم الجديدة وما يرافقها من أحداث وتطورات تترك وراءها عوالم جديدة .

والنجوم الجديدة يمكن معرفتها بالعين المجردة بأنها النجوم التي يزداد مقدار نورها بسرعة كبيرة من درجة ضئيلة جدا ، أو من العدم ، ثم يهبط تدريجيا الى ما كان عليه قبلا .



نجم جديد ظهر في برج النسر عام ١٩١٨ ، ويشير السهم في الصورة العليا اليه قبل انفجاره ، ويبدو في الصورة السفلى وقد غدا متوهجا بشدة بعد الانفجار .





السديم السرطاني في برج الثور الذي تكون عقب انفجار أحد النجوم عام ١٠٥٤م وظهور نجم جديد آخر مكانه .

لقد كان الاعتقاد السائد في الأوساط العلمية قديما ، ان النجوم الجديدة تنشأ بشكل فجائي ، وتدوم زمنا قصيرا يقاس بالأشهر ، ثم تتلاشى . ولكن هذا الاعتقاد لا يتفق مع ما هو معروف في أيامنا هذه ، عن طبيعة النجوم وصفاتها العامة ، ومراحل نشوئها وأدوار حياتها . فضلا عن أن هناك ، عددا لا بأس به من النجوم الجديدة ظهر وجودها في الصور الفوتوغرافية التي أخذت لها بواسطة المراقب الفلكية الكبيرة قبل أن يزداد مقدار نورها .

والمتفق عليه اليوم بين علماء الفلك هو أن كل نجم يظل يستنفد ما فيه من آيدروجين خلال آلاف الملايين من السنين ، دون أن يطرأ على طبيعته أي تغيير ، ويعمل كما يعمل المرجل النووي . وعندما يستهلك نحو ١٥ في المائة من وقود الأيدروجين ، يبدأ النجم يبرد ، ويتمدد منتفخا ، حتى يصبح حجمه خمسين أو مائة ضعف حجمه الأصلي ، ويصبح لونه أحمرا . وفي هذه المرحلة التي يمكن أن تدوم آلاف السنين ، يستهلك النجم نحو ٦٠ في المائة مما تبقى فيه من أيدروجين ، فيهبط ضغطه الداخلي ، ويبدأ في التقلص . ويرافق هذه المرحلة تفتت في المادة التي يتكون منها جرمه الخارجي ، أو انفجار هائل فيه مع لمعان شديد ، وتنتشر أجزاؤه الخارجية في الفضاء الشاسع بقوة تفوق التصور . ومن هذا الغبار النجمي تتكون نجوم جديدة أخرى . ولا يبقى من النجم الأصلي عادة سوى قلب كثيف جدا على درجة عالية من الحرارة ، يستمد لمعانه من حرارة تتولد من ضغط بطيء ، ويدعى حينذاك انه من « الأقزام البيض » ، وتنحصر كتلته في حجم صغير ، فتزداد قوة الجاذبية في داخله ، وتقترب الذرات من بعضها البعض لتشغل شكلا يبطل فيه وجود الكهارب برفقة نواة الذرة منفردة ، ثم يصبح جسما صخريا أسود باردا لا لمعان له خلال نحو من ألف بليون سنة ، حسب تقديرات علماء الفلك .

وقد حدث في الرابع من شهر يوليه عام ١٠٥٤ ميلادية ، أن شاهد الفلكيون في اليابان والصين نورا يبهر الأنظار ، فاق على ما حوله من أنوار في السماء . وظل هذا النور يشاهد في النهار مدة أسبوع ، واستمر قويا يشاهد ليلا حتى ١٧ ابريل عام ١٠٥٦م . بعد ذلك خبا نور ذلك النجم ، ولم يعرف عنه شيء فيما بعد . وبعد عدة قرون من هذا الحدث ، شاهد الفلكيون سديما ، أي سحابة من الغاز ، في برج « الثور » ، في نفس المكان الذي ظهر فيه النجم عام ١٠٥٤م ، وسموه « السديم السرطاني » ، ولا نزال نشاهده الى يومنا هذا . ويوجد في وسط السديم نجمان صغيران يحتمل أن يكونا من الأقزام البيض .

وقد تبين من دراسات طيفية أن هذا السديم يتمدد بسرعة ١١٢٠ كيلومترا في الثانية ، وأن



نجم مذنب في صورة أخذت له من الطائرة .

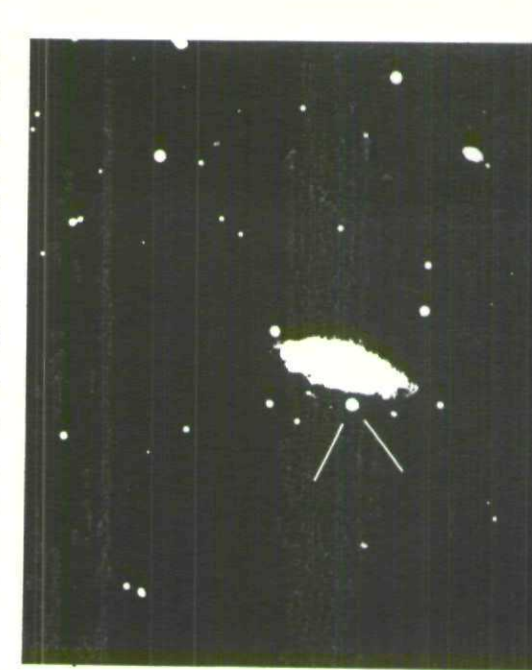
أطرافه تمتد بلايين الأميال . وقد تمكن الفلكيون من معرفة تاريخ نشوء هذا السديم السرطاني من سرعة تمدده الثابتة ، فتبين لهم انه هو ذلك النجم الذي أضاء السماء بنوره الفجائي في السماء عام ١٠٥٤م . أما الانفجار الذي أحدث هذا النور الساطع فقد حدث قبل مشاهدة النجم الجديد بنحو أربعة آلاف سنة .

تشير المصادر العلمية والدراسات الفلكية الصينية القديمة الى أن هناك ٩٠ نجما جديدا ظهرت في الفترة الواقعة بين عام ١٤٠٠ ق.م وعام ١٦٩٠م ، من بينها ثمانية نجوم كبيرة . وأشهر هذه النجوم الجديدة هو نجم « تيخوبراهي » ، وقد ظهر عام ١٥٧٢م في برج « ذات الكرسي » . أما نوره فقد كان أسطع من نور الكوكب السيار « المشتري » ، كما فاق نور الكوكب السيار « الزهرة » لمعانا لبضعة أيام ، وكان يشاهد في النهار . ثم أخذ نوره يتضاءل . وبعد ثمانية عشر شهرا غاب عن الأبصار ، ولم يعد بالامكان رؤيته بالعين المجردة .

وكذلك الأمر مع نجم « كيلر » ، الذي ظهر في برج الجوزاء سنة ١٦٠٤م ، فقد فاق كوكب المشتري لمعانا ، لكن نوره تضاءل خلال سنة واحدة ، واختفى عن النظر تماما .

والآن يمكن رؤية عدد أكبر من النجوم الجديدة بعد أن اتقن الانسان صنع المراقب واستخدام وسائل التصوير الضوئي . وتدل الاحصاءات في مرصد « هارفرد » الأمريكي أن عشرة نجوم جديدة من القدر التاسع تظهر في كل سنة . ويقدر علماء الفلك أن نور أي نجم جديد عادي يتراوح بين ٥٠٠٠٠ و ٢٠٠ مليون ضعف نور الشمس . وقد اكتشف العلماء حديثا عددا كبيرا من نجوم جديدة ضئيلة النور ، في السدام اللولبية خارج مجرتنا . وقد بلغ عدد ما اكتشف في سديم المرآة المسلسلة وحدها أكثر من مائة نجم ، وذلك في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٥ .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن شابا عربيا يدعى علي بن رضوان اكتشف نجما جديدا في عام ١٠٠٦م وذلك عندما كان يدرس في الفسطاط بالقاهرة . وقد شاهد الكثيرون هذا النجم اللامع قرب الأفق ، لكن « علي » كان الوحيد الذي عين مركزه بدقة بالنسبة للنجوم الأخرى . وظلت المعلومات عن هذا النجم محفوظة في مكتبة أحد الأديار قرب مدريد في اسبانيا ، حتى قام بترجمتها من العربية الى الانكليزية « برنهارد غولد شتين » ، أحد أساتذة التاريخ في جامعة «يال» الأميركية . وقد أكب « غولد شتين » على درس هذه الوثيقة العلمية ، فوجد أن النجم الذي شاهده الفلكي علي بن رضوان كان من النوع الكبير ، وكان موقعه بالقرب من « برج الأرنب » ، كما أن



أحد النجوم المستعرة ، كما بدا من خلال مرصد جبل « بالومار » في ١٢ يونيو ١٩٥٩ .

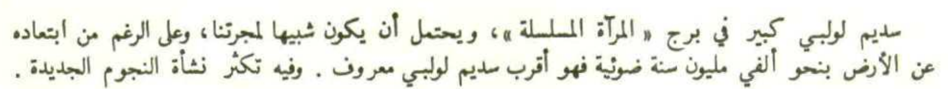
المعلومات التفصيلية التي سجلها علي كشفت عن أن هذا النجم ظهر في ليلة ٣٠ ابريل عام ١٠٠٦ ميلادية . وقد تابع العالم « غولد شتين » دراسته عن هذا النجم ، فعثر على سجلات في بلدان أخرى تشير الى هذا النجم الجديد ، لكنها لم تكن على جانب كبير من الدقة كما جاء في شرح علي بن رضوان . فقد ورد ذكر هذا النجم من قبل الصينيين في كوريا ، وسكان أوروبا . ووصفه راهب في سويسرا بأنه نجم ، من قدر فوق المعتاد ، كان قد ظهر في أقصى الجنوب ، وقد ظل يتقلص ويتمدد لمدة ثلاثة أشهر . وبموجب التعليمات التي أشار اليها « غولد شتين » ، تمكن القائمون على أعمال مرصد « يال » في أميركا الجنوبية ، من الحصول على صورة في ربيع عام ١٩٦٥ ، ظهر فيها قرص من مقدار ٢٥ ثانية من قوس ، يرجح أنه الأثر المتبقي من الانفجار الذي حدث منذ عشرة قرون .

يتساءل

بعض الناس عن نجم بيت لحم الذي ظهر قبل نحو من عشرين قرنا فوق هذه المدينة فنسب اليها . ويجيب الفلكيون عن ذلك ، بأنه ليس لديهم ما يثبت وجود نجم كهذا في أيامنا هذه ، ويترددون في التأكيد من أن نجما كهذا ظهر لوقت قصير ، ثم اختفى . ويقول البعض أنه ربما كانت الشعرى اليمنية (Sirius) هي المقصودة بنجم بيت لحم ، خصوصا وان لمعانه فوق المعتاد . ويقول آخرون ان الزهرة تكون في أوقات معينة في أشد حالات لمعانها نظرا لقربها من الأرض ، فيحتمل أن تكون هي المقصودة بنجم بيت لحم . وأشار بعض الفلكيون بصدد ظهور نجم بيت لحم الى اقتران الكواكب السيارة . ويقصد بالاقتران وجود جرمين سماويين في جهة واحدة من السماء ، فتوصل الفلكيون بذلك الى تعيين مسارات الكواكب السيارة بدقة متناهية ، وأصبح بالامكان معرفة موقع

رأس لمذنب هالي كان يظهر في نقطة سمت الرأس في بيت لحم منذ ٢٠٠٠ سنة ، وقد أخذت هذه الصورة في ٨ أيار ١٩١٠م بواسطة مراصد جبلي « ولسون » و « بالومار » في كاليفورنيا .





سديم لولبي كبير في برج « المرآة المسلسلة » ، ويحتمل أن يكون شبيها لمجرتنا ، وعلى الرغم من ابتعاده عن الأرض بنحو ألفي مليون سنة ضوئية فهو أقرب سديم لولبي معروف . وفيه تكثر نشأة النجوم الجديدة .



ظهر هذا النجم المذنب فوق مدينة أمريكية عام ١٩١٠ ، فأضاء سماء المدينة بنوره .

المشتري بعد نحو ألفي عام من الآن بخطأ بسيط للغاية لا تتمكن العين المجردة من ادراكه ، كما أصبح بالامكان معرفة موقعه قبل نحو ألفي عام منذ الآن .

ولدى دراسة وضع الكواكب السيارة قبل ألفي عام تقريبا ، نجد أن المشتري وزحل كانا في الاقتران ثلاث مرات ، حسبما ورد في تقرير لعالم فلكي الماني قبل مائة عام أو يزيد . وفي الاقتران الأخير كان الكوكبان قريبين بشكل يجعلهما يظهران كأنهما كوكب واحد ، ثم افترقا ، واختفت قوة لمعانهما .

وقال بعض علماء الفلك بأن نجم بيت لحم هو من النجوم الجديدة التي لمعانها فجأة ، وتظهر خلال فترة معينة واضحة للعيان . وقد أصبح من المألوف عند هواة علم الفلك اكتشاف نجوم جديدة . فقد اكتشف بعض هؤلاء الهواة نجمين من أشهر النجوم الجديدة ، أحدهما في عام ١٩٠١ والثاني في عام ١٩١٨ ، وهما يعادلان في لمعانهما لمعان أقوى النجوم التي اكتشفت في العصور السابقة ، ومن المرجح أن يكون نجم بيت لحم من بين هذه النجوم الجديدة التي تمّ اكتشافها .

بقي هناك احتمال آخر ازاء تفسير ظاهرة نجم بيت لحم ، يستند على مذنّب « هالي » ، وما عرف عنه خلال العصور بالنسبة الى الأرض والى الأجرام السماوية الأخرى . وهذا المذنب هو أشهر المذنبات المعروفة ، والتي يربو عددها على الألف ، وهو يظهر لسكان الأرض ، مرة كل ٧٦ عاما . وكانت آخر مرة ظهر فيها عام ١٩١٠ ، ويتوقع أن يعود للظهور عام ١٩٨٦ . وتدل السجلات القديمة على قيود دقيقة لهذا المذنّب من حيث موقعه بين النجوم ، وتاريخ ظهوره في كل مرة من المرات السبع والسبعين التي ظهر فيها خلال الفترة الواقعة بين عام ٨٧ قبل الميلاد و ١٩١٠م .

بيد أن هناك وقائع فلكية تشير الى أن زيارة مذنب « هالي » الى الأرض عام ١١ قبل الميلاد كانت ، ذات وضع خاص . ففي أواخر شهر أغسطس من تلك السنة كان هذا المذنب في برج الجوزاء أو التوأمين ، الى الشمال قليلا من النجمين النيرين في هذا البرج « كستور » و « بلوكس » . وكان هذان النجمان قبل ألفي سنة على بعد ٣١ درجة و ٤٢ دقيقة الى الشمال من خط الاستواء الفلكي ، وهذا يساوي عرض مدينة « بيت لحم » جغرافيا . ومن هنا نستدل على أن هذين النجمين كانا يمران في سفرتهما اليومية في نقطة سمت الرأس فوق بيت لحم ، وكذلك مذنب « هالي » . ■

الازدواج اللغوي في البلدان العربية

بقلم الاستاذ عثمان شوقي

تبدو في جميع البلدان العربية ، ظاهرة الازدواج اللغوي جلية واضحة .. فالناس في هذه البلدان يستخدمون اللغة العربية الفصحى في تسجيل أفكارهم وتدوينها في حين يستعملون اللهجات العامية ، في تفاهمهم وتعبيرهم عن شؤون حياتهم اليومية . ومع أن اللهجات العامية تختلف عن الفصحى في بعض المظاهر كالمفردات والأصول والقواعد وأساليب الاستعمال ، فانها في الحقيقة ترجع الى الفصحى وتنبثق منها في معظم أصول مفرداتها وتراكيبها .

وقد اقترح بعضهم لعلاج ظاهرة الازدواج هذه ، ان نهبط بلغة الكتابة والأدب الى لغة الحديث ، فنستخدم اللغة العامية في الشئون التي تستخدم فيها الآن الفصحى ، ونقضي بذلك على هذا الاختلاف بين أساليب التفاهم وأسلوب الكتابة . ولقد انتصر لهذا المذهب السكونت « كولودي لندنبرج » الأسوجي في تقرير قدمه الى مجمع اللغويين الذي انعقد في مدينة « ليدن » سنة ١٨٨٣ ، واللورد « دوفريـن » السياسي الانجليزي في تقريره الذي رفعه الى وزير خارجية انجلترا بشأن لهجة مصر العامية . ومن هؤلاء كذلك « ولهلم سبتا » الالماني الذي كان أمينا لدار الكتب بالقاهرة ، والذي مهد لتحقيق هذا المشروع باستنباط حروف افرنجية تكتب بها لهجة مصر العامية ، وبتأليف كتاب ألماني في قواعد الصرف والاشتقاق التي تسير عليها تلك اللهجة .

وكثر الداعون الى ذلك في القرن العشرين في كثير من البلدان العربية وأخذ بعض الأدباء العرب يطبق هذه الطريقة بالفعل ، فكتب بعض رواياته الأدبية ، وبعض اشعاره وقصصه ومقالاته باللهجة العامية . بل لقد جنح الى هذا الاتجاه بعض قدامى الباحثين ، كالعلامة المؤرخ ابن خلدون ، الذي كتب في مقدمته عن اللهجة العامية للمجتمعات البدوية في عهده ما نصّه : « اننا نجد هذه اللغة في بيان المقاصد ، والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري . ولم يفقد منها الا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول ، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد ، وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب — يقصد البدو — ومذهبهم لهذا العهد ، ولا تلتفتن في ذلك الى خرفشة النحاة ، أهل صناعة الاعراب ، القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وان اللسان العربي فسد اعتبارا بمواقع أواخر الكلم من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه . وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم وألقاها القصور في أفئدتهم ، والا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأول ، والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه بتفاوت الابانة موجودة في كلامهم لهذا العهد . وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم ولم يفقد من أحوال اللسان المدون الا حركات الاعراب في أواخر الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيعا معروفا . ولعلنا لو اعتلينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد ، واستقرينا أحكامه ، نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها . »

والاتجاه الذي يدفع الى استخدام العامية بدل الفصحى خاطيء يؤدي الى القضاء على أهم دعامة من دعائم الثقافة الاسلامية العربية . والعامية فقيرة كل الفقر في مفرداتها خلا ما يدور على ألسنة الناس خلال أحاديثهم العادية ، وهي الى ذلك مضطربة كل الاضطراب في قواعدها وتراكيبها ، ومعاني ألفاظها ، وربط الألفاظ والجمل بعضها ببعض . وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعاني الدقيقة ، ولا عن حقائق الآداب والعلوم والانتاج الفكري الرصين . ولا أدل على ذلك من أننا في حديثنا العادي ، كثيرا ما نضطر الى استخدام العربية الفصحى حينما نكون بصدد التعبير عن حقائق منظمة وأفكار مسلسلة ، ونحن انما نفعل ذلك اضطرارا ، لا عن مباهاة باظهار القدرة على التعبير الفصيح ، لأننا نرى أن العامية لا تسعفنا في مفرداتها ولا في قواعدها بما يضبط تفكيرنا ،

وينقله نقلا صحيحا الى الأذهان . فاذا لم نجد أمامنا الا العامية نستخدمها في جميع شئون تفكيرنا وتعبيرنا ، تقطعت بنا أسباب الثقافة ونكصنا الى الوراء قرونا عديدة ، وقضي على نشاطنا الفكري قضاء مبرما ، لأن الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية في التعبير خمدت جذوته وضعف شأنه وضاق نطاقه .

وبالاضافة الى ذلك فان اصطناع العامية في الآداب والعلوم ، من شأنه أن يحول عاجلا أو آجلا بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربي المدون بالفصحى ، اذ تصبح هذه اللغة غير مفهومة الا لطائفة قليلة من خاصة الناس ، هم الذين يتوفرون على دراستها ، كما يتوفر بعض علماء الفرنجة الآن على دراسة اللاتينية أو اليونانية القديمة . ولسنا في حاجة الى بيان مدى فداحة الكارثة التي تصيب الثقافة العربية لضياع هذا التراث وعدم الانتفاع به .

وبجانب هذه الأضرار الثقافية والفكرية البالغة ، ينطوي هذا الاتجاه على ضرر أبلغ ، فاللغة العربية الفصحى ، هي أهم دعامة تعتمد عليها الأمة العربية ويشترك فيها أبناؤها . ففي القضاء عليها ، قضاء على أقوى رابطة تربط شعوبنا العربية والاسلامية بعضها ببعض .

وفضلا عن هذا كله ، فان اللهجة العامية في بلد ما غير ثابتة على حال واحد ، بل هي عرضة للتطور من حيث أصواتها ودلالاتها ومفرداتها وقواعدها وتطورها هذا سريع جدا حتى انا لنجد في العصر الواحد فروقا غير يسيرة بين عامية جيل وجيل آخر . وتتسع هذه الفروق كلما تقادم العهد ، فكثير من الكلمات والعبارات العامية التي استخدمها الجبرتي مثلا في تاريخه ، والتي كانت متفقة مع عامية القاهرة في عصره ، قد أصبحت غريبة على أهل القاهرة اليوم . فاذا فرضنا أننا استخدمنا العامية الدارجة هذه الأيام في كتاباتنا ، فاننا لا نلبث بعد وقت غير طويل أن نرى أنفسنا أمام المشكلة ذاتها ، وذلك لأن لغة الحديث سوف ينالها كثير من التغيير ولن تلبث طويلا حتى تبعد بعدا كبيرا عن لغة الكتابة ، فنصبح واذا بنا نكتب بلغة ونتخاطب بلغة أخرى . فاذا رضينا بهذا الازدواج ، ذهب كل ما حققناه في هذا السبيل أدراج الرياح . واذا أخذنا على أنفسنا العمل على القضاء عليه ، كلما ظهر ، بالطريقة ذاتها ، كان معنى ذلك أننا نضطر بعد كل فترة زمنية ، نحو قرن أو أقل من ذلك ، الى تغيير لغة الكتابة بلغة أخرى . وهذه هي أقصى درجات الفوضى اللغوية .

ونضاف الى هذا أن اللهجات العامية تختلف باختلاف الشعوب العربية . فعامية المملكة العربية السعودية مثلا تختلف عن عامية السودان وعامية المغرب . وهي تختلف كذلك في البلد الواحد باختلاف المناطق ، بل ان المنطقة أو المحافظة الواحدة تشتمل على كثير من المدن والقرى التي تختلف في لهجاتها أيضا . فالقضاء على الازدواج – بموجب ما أسلفنا – يكون بأن تصطنع كل منطقة ، بل كل مدينة وكل قرية ، لغة كتابة تتفق مع لهجة حديثها ، وبذلك يصبح في البلاد العربية آلاف من لغات الكتابة بمقدار ما فيها من مناطق ومدن وقرى ، ولا أظن أن أحدا ينصح بمثل هذه الفوضى . واذا لجأنا الى جعل لغة الكتابة في العالم العربي كله متفقة مع لهجة واحدة من اللهجات العامية الدارجة حاليا ، كلهجة أهل القصيم بالمملكة العربية السعودية مثلا ، فاننا بذلك لا نكون قد قضينا على الازدواج الا في منطقة واحدة من المناطق ، وهي المنطقة التي جعلنا لغة الكتابة متفقة مع لهجتها . أما ما عداها من المناطق فستظل مشكلة الازدواج قائمة فيها ، وذلك انها ستكتب بلغة غير اللغة التي يجري بها حديث أهلها .

على أن اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث ، يكاد يكون سنة طبيعية في اللغات ، فاللغة اللاتينية مثلا كانت الى عهد قريب لغة الكتابة في فرنسا ، وايطاليا ، واسبانيا ، والبرتغال ، ورومانيا ، وجزء من بلجيكا ، وسويسرا ، بينما كان سكان كل بلد من هذه البلدان يتخاطبون بلهجة خاصة متفرعة عن اللاتينية القديمة ، ولكنها تختلف عنها اختلافا كبيرا من حيث أصواتها ومفرداتها وقواعدها ودلالاتها . واختلافها عنها في هذه النواحي قد بلغ في العصور الحديثة مبلغا لا يذكر بجانبه اختلاف لهجاتنا العامية عن العربية الفصحى ، حتى ان الفرنسي الذي لم يكن قد تعلم اللاتينية ، ما كان يستطيع أن يفهم شيئا يعتد به من اللغة التي كان يكتب بها الناس في بلده . وقد ظلت اللاتينية لغة كتابة لهذه الشعوب حتى نضجت لهجاتها الخاصة ، وكمل نموها فاستطاعت أن تنحي اللاتينية جانبا وتحتل مكانها ، فأصبحت الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية ، التي كانت لهجات عامية تستخدم في المحادثة فحسب ، أصبحت لغات كتابة وآداب ، وقد تم ذلك في حوالي القرن السابع عشر الميلادي . غير أن ظاهرة الازدواج القديمة لدى هذه الشعوب لم تلبث ان انبعثت مرة أخرى ، وذلك أن لهجات الحديث في هذا البلد أو ذاك ، والتي كانت في المبدأ متفقة مع لغات الكتابة فيها ، أخذت تتغير شيئا فشيئا وتنحرف عن أصولها الأولى ، بينما ظلت لغة الكتابة فيها جامدة على حالتها القديمة ، أو ما يقرب منها . وبذلك أصبحت لهجات الحديث في تلك البلدان تختلف اختلافا غير يسير عن لغات الكتابة . ومع أن درجة هذا الاختلاف لم تصل بعد ما وصلته لهجاتنا العامية من اختلاف بينها وبين العربية الفصحى ، الا أن الهوة ستزداد اتساعا مع الأيام حتى تجد هذه البلدان انها وصلت الى حالة شبيهة بالحالة التي كانت عليها حين كانت لغة الكتابة هي اللاتينية .

ومع ذلك فان انتشار التعليم والثقافة والصحافة ووسائل الاذاعة والتلفزيون والدعاية والاعلام والارشاد في البلاد العربية واستخدام العربية الفصحى في معظم هذه الأمور ، كل ذلك كفيل بأن يقرب اللهجات العامية بعضها من بعض بحيث تغدو مفهومة لجميع السكان من جهة ، وأن تقرب هذه اللهجات من العربية الفصحى من جهة أخرى .. الأمر الذي سيكون له أثره في القضاء على وجوه الخلاف والازدواج والذي سيخفف كثيرا من اثر العوامل الاجتماعية والجغرافية التي تباعد هذه اللهجات بعضها عن بعض ■

نشأة السكة العربية وتطورها

بقلم الاستاذ محمد ابو الفرج العش

ذكرت في مقال سابق أن العرب قبل الاسلام كانوا يتعاملون بالدنانير والفلوس البيزنطية والدراهم الكسروية ، وأن العرب بعد الاسلام طوّروا الدراهم الكسروية حتى انتهى الأمر الى تعريبها ، مع الاحتفاظ بالعناصر المتأثرة بالنمط الساساني والنمط البيزنطي معا .

وفي هذا المقال سأعرض صورا للنقود النحاسية والذهبية للدلالة على مسير تطوّر السكة ، حتى أصبحت عربية متأثرة بالنمط البيزنطي ، ثم غدت بعد قليل عربية خالصة . وسأشير الى النصوص التاريخية التي يؤيدها ما وصل الى أيدينا من قطع النقد ، والى النصوص التي لم نجد بعد ما يؤيدها من النقود .

وردت معلومات كثيرة عن النقود في المراجع العربية القديمة والمتوسطة : ذكرها المؤرخون ، أمثال الطبري ، والبلاذري ، وابن الأثير ، وأبي شامة ، وابن تغري بردى ، وذكرها الكتّاب في الحضارة والثقافة العامة ، أمثال الثعالبي ، والبيهقي ، وابن خلدون ، والقلقشندي ، والمقريزي ، واهتم بها من كتب في الفقه والأحكام ، والقوانين ، أمثال الماوردي ، وابن مماتي ، والنابلسي ، وكذلك من صنّف في الخراج والأموال ، أمثال أبي يوسف ، وقدامة ابن جعفر ، وابن سلام ، ونجد لها شرحا في كتب اللغة كقاموس الفيروزبادي ولسان ابن منظور ، وقد تطرّق الى بحثها من كتب في العلوم أيضا ، أمثـال الدميري ، والخرجي ، وابن بعرة .

بيد أن معظم هذه المعلومات ترد في هذه المراجع بصورة عفوية أثناء معالجتها موضوعـا آخر . أما الكتّاب الذين عالجوا موضوع النقود لذاته فهم : الطبري ، والبلاذري ، وابن الأثير ، والماوردي ، وابن خلدون ، والمقريزي . وربما نقل أحدهم عن الآخر ، فزاد أو أنقص قليلا ، أو أخطأ في النقل ، أو اعتمد على مصادر أخرى لم تصلنا ، فاختلفت الروايات التي أوردها عمن سبقه . ومن الجدير بالذكر أن هذه المعلومات أوردها الرواة عن داود الناقد(١) ، وأبي الزبير الناقد ، وأبي الزناد ، ونصنفها فيما يلي :

وزن النقد : الدينار بالأصـل يساوي مثقالا(٢) ، والمثقال مجزأ الى ٢٤ قيراطا(٣) ، ويساوي ٤,٨٠ غراما ، الا أن الدينار الأموي الأول في عهد عبد الملك سنة ٧٤هـ كان ٢٢ قيراطا الا حبة ، وهو يساوي ٤,٥٠ غرام تقريبا ، ويعادل « السوليدوس Solidus » البيزنطي . ويوجد في (Cabinet des Me'dailles) في باريس نسخة زجاجية عن دينار عبد الملك ، عليها اسمه ، وتبلغ زنتها ٤,٥٠ غ ، ودينار صدر في سنة ٧٦هـ يزن ٤,٤٨ غرام . أما الدينار الأموي الغربي الخالص المتداول فكان حوالي ٤,٢٥ غرام . ووزن الدرهم يساوي ٠,٧ من وزن الدينار ، ويساوي ستة دوانيق(٤) ، أي حوالي ثلاثة غرامات الا قليلا . وقد اختلفت نسبة الذهب الى الفضة اختلافا بسيطا بين عهد وآخر ، لكنها كانت في الأصل ثابتة ، فكان كل دينار يساوي عشرة دراهم .

عيار المعدن : ورد في الأحكام السلطانية للماوردي أن عيار النقود كان مغشوشا في ايران قبل الاسلام ، وقد خلص منه في الاسلام فأصبح الدينار يضرب من خالص الذهب « العين » ، والدرهم من خالص الفضة « الورق » وهو النقرة . وقد تبارى ولاة بني أميّة بتجويد عيار الدرهم ووزنه ، أمثال ابن هبيرة ، وخالد القسري ، ويوسف بن عمر .

غش النقود : منع الاسلام كسر النقود ، أو انقاصها بقرض أطرافها ، أو غشها بتخفيض عيارها ، أو تزييفها . وقد عاقب الخلفاء على هذه المخالفات ليسلم النقد من التلاعب .

نصاب الزكاة : نصاب الذهب عشرون دينارا ، ونصاب الفضة مئتا درهم . يدفع ١,٤٠ من كل منها اذا حال عليه الحول .

السكة : كانت السكة مهمّة من مهام الخليفة ، أورد ذلك الماوردي وابن خلدون ، وعرفوها بأنها في الأصل الحديدة التي تنقش عليها الكلمات مقلوبة ، ثم تضرب بها النقود . ثم تطوّر مدلولها ، فانتقل الى أثرها أي النقود نفسها . وغدت بعد ذلك وظيفة الموظف الذي يشرف على القيام بهذه العملية والنظر في استيفاء حاجاتها وشروطها .

أنواع النقود : الدينار الذهبي وهو في الأصل « السوليدوس » البيزنطي . وقد أخذ الدينار من كلمة « ديناريوس » اليونانية . والدرهم الفضي من كلمة « درم » الفارسية ، أو « الدراخما »

---

(١) الناقد هو من يفحص النقد للتأكد من صحة وزنه وعياره .

(٢) المثقال كان يساوي في الأصل ٦٠ حبة شعير ، ثم غدا يساوي ٧٢ حبة .

(٣) القيراط مأخوذ من اليونانية (KERATION) .

(٤) جمع دانق ، والكلمة مأخوذة من الفارسية « دانة » ومعناها « حبة » ، ولكن الدانق العربي يساوي ٨,٤ حبات .

اليونـــانية . والفلس النحاسي مـــن كلمـــة (Follis) (٥) اليونانية . وكانت أجزاء الدينار في العهد الأموي ، النصف ، والثلث ، والربع . أما الدرهم الكسروي فقد كان له أنواع حسب وزنه : البغلي ، ووزنه ثمانية دوانق ، والطبري ووزنه أربعة دوانق ، وغيرها . وقد أخذ عمر ابن الخطاب الوسطي ، أي ما وزنه ستة دوانق ، وأمر بضرب الدراهم على هذا الوزن ، واستمر الأمر كذلك بعده .

تعريب النقود : وردت معلومات فيها بعض التضارب عن كيفية تعريب النقود ، وتاريخ بدء التعريب بالضبط ، والملابسات التي أدت الى هذا العمل . فقد ذكر البيهقي والدميري قصة تلخص بأن عبد الملك بن مروان طلب أن تترجم له كتابة الطراز الذي كانت توشّح بها القراطيس المصنوعة من « البردى » في مصر ، وتصدّر الى جميع البلاد ، ومنها بيزنطة . فعلم أنها « الآب والابن والروح القدس » ، فأمر عامله بمصر بإبطال الطراز على ما كان يطرّز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك ، وأن يكتب مكانها « شهد الله أنه لا إله الا هو » . وقد انزعج القيصر البيزنطي ، وكتب الى عبـــد الملك : « لتأمرنّ بردّ الطراز الى ما كان عليه ، أولآمرنّ بنقش الدنانير والدراهم ، فينقش عليهما شتم نبيّك » . فصعب الأمر على عبد الملك ، واستشار خاصته ، فأشار عليه محمد بن علي بن الحسين : « تدعو في هذه الساعة بصنّاع ، فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير ، وتجعل النقش على صورة التوحيد ، وذكْر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحدهما في وجه الدرهم والدينار ، والآخر في الوجه الثاني ، وتجعل من مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه ، والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير . » ثم أبان محمد بن علي الوزن الشرعي للنقود ، واقترح على الخليفة أن يفرض السكة الجديدة على الناس ، ويتوعد من يتعامل بغيرها .

هذه القصة على ما تحويه من حكمة لا تؤيدها الوثائق النقدية تمام التأييد ، لأن النقود كما سنرى ضربت في البلاد العربية على النمط البيزنطي منذ عهد الخلفاء الراشدين ، وأخذت تقترب مـــن التعريب ، حتى غدت سنة ٧٤ للهجرة عربية تحمل التاريخ الهجري ، ولكنها ظلّت متأثرة بالنمط البيزنطي تحمل رسم عبد الملك والصليب البيزنطي المحوّر . وعندما أراد عبد الملك أن يدفع هذا النقد الى قيصر بيزنطة ، امتنع القيصر من قبول النقد العربي (٦) . فأبطل عبد الملك المعاهدة المعقودة (٧) ، وأمر بتعريب النقد نهائيا . وهنا لا بد أن يكون عبد الملك قد استشار الخاصة ، فأشار عليه محمد بن عـــلي بن الحسين ، أو غيره (٨) ، بما يجب أن يكتب على النقد العربي الاسلامي الخالص .

أما تاريخ الضرب الأول فقد اختلف فيه المؤرخون ، والمقريزي وابن الأثير . يقول الطبري انه سنة ٧٦هـ ، ويقول البلاذري ، والماوردي ، وابن خلدون بأنه سنة ٧٤هـ . ولعل أكثر المؤرخين يعيّنون سنة ٧٤هـ لدينار عبد الملك العربي المتأثر بالنمط البيزنطي ، مع أن المفهوم من النصوص هو الدينار العربي الصّرف . ويشذّ عنهـــم المقريزي ، فيوضح أن النقود الجديدة حين وصلت الى المدينة المنورة لم ينكر أهلها عليها سوى نقشها ، لأن عليها صورة ، ثم يذكر بعد ذلك كيف عرّبت التعريب الخالص .

يوجد الآن في العالم ديناران فقط من دنانير عبد الملك العربية البيزنطية التي ضربت سنة ٧٤هـ ، وأحدهما محفوظ في متحف كراتشي . ويوجد دينار واحد فقط من الدنانير التي ضربت سنة ٧٥هـ محفوظ في متحف جمعية النميات الأمريكية (A N S) في نيويورك ، ودينار واحد ضرب سنة ٧٦هـ محفوظ في (Cabinet des Me'dailles) في باريس ، ودينار واحد ضرب سنة ٧٧هـ محفوظ في باريس أيضا . أما أقدم دنانير عربية خالصة فيوجد منها ديناران أحدهما ضرب سنة ٧٧هـ ، وهو محفوظ في المتحف البريطاني بلندن . وتوجد دنانير كثيرة تحمل التاريـــخ ٧٨هـ وما بعد .

أما الدرهم العربي الخالص الذي تنوّه بـه المراجع القديمة أنه ضرب بعد الدينار بسنة واحدة ، أي سنة ٧٥هـ ، فانه في الواقع أصدر بعد سنة ٧٨هـ بسنة واحدة ، أي سنة ٧٩هـ . وهذا يعني أن المراجع كانت دقيقة حينما عيّنت سنة واحدة بين موعدي الاصدارين ، ولكن التبس عليها موعد الضرب الأول بين أن يكون الدينار متأثرا بالنمط البيزنطي أو عربيا خالصا . ومن يتحرى كيف سجّل التاريخ ، وكيف تنوقلت الروايات التاريخية ، ومتى دوّنت هذه الروايات يلتمس عذرا للمؤرخين في تعيين السنة بالضبط . ومع ذلك يوجد درهم واحد في العالم ضرب في دمشق سنة ٧٥هـ ، ولكن يشكّ العلماء في صحة التاريخ المنقوش عليه ، ويصعب في هذا البحث المختصر مناقشة هذه القضية . وكذلك توجد دراهم أخرى عربية خالصة ضربت في السنوات ٤٠ ، ٧٣ ، ٧٦هـ يشكّ العلماء بصحة الكتابة الموجودة عليها ، ولا مجال هنا لمناقشتها أيضا .

نقش النقود العربية : يقول المقريـــزي : « وضرب معاوية أيضا دنانير عليها تمثاله متقلدا سيفا » . ولدينا الآن فلوس عليها تمثال شخص يرجح انه معاوية ، وهي لا تحمل اسمه ، وليس بينها قطعة ذهبية واحدة . ويمكن تفسير قصور الوثائق عن المعلومات التاريخية في هذا الصدد ان الخلفاء والولاة ، كالحجّاج ، كانوا يأمرون بصهر النقود لإعادة سكها من جديد (٩) ، وهذه عادة جرى عليها أكاسرة الفرس سابقا ، وتعلّل سبب ندرة النقود التي سكّت في صدر الاسلام .

ويعلل ابن خلدون سبب إصدار الـدينار العربي الصرف حاليا من أي تأثر بالانماط السابقة بقوله : « ونقش عبد الملك فيه كلمات لا صورا ، لان العرب كان الكلام والبلاغة أقرب مناحيهم وأظهرها ، مع أن الشرع ينهى عن الصور . » هذه نظرة حكيمة تبرّر التعريب النهائي الذي كان لا بدّ منه ، كما أن التطور التدريجي في التعريب كان أيضا لا بدّ منه ، لأن النقد في العهد العربي الاسلامي صار له قيمة اعتبارية الى جانب قيمته المادية من الجوهر ، لذا لم يخل من تأثر بالنمط الساساني في سكّ الدرهم ، وبالنمط البيزنطي في سك الدينار والفلس . وقد قبل الناس بالتعامل بدنانير عبد الملك التي تحمل صورته في وجه ، وتحمل الصليب البيزنطي المحوّر في الوجه الآخر ، ولم يبد منهم اعتراض يذكر ، لأنهم اعتادوا على التعامل بنقود تحمل الصور ، ولكن ربما ظهر بعض المنكرين ، حسب قول

---

(٥) على هذا النحو وردت في مراجع النقود ، ولكن لدى مراجعة الكلمة في القاموس اليوناني تبين أنها بلام واحدة ، ويأتي معناها «قشر» . فهل انتقل مدلول الكلمة الى النقد البخس ؟

(٦) يؤيد هذه القصة ما ذكره (Lavoix) في كتابه الأول عـن المؤرخين البيزنطيين (Zonare Theophane) .

(٧) كان في شمالي سورية فرقة من الجنود البيزنطيين غير النظاميين في حدود الدولة الاسلامية تسبب أذى للمسلمين . ولما كان عبدالملك منهمكا باخماد الفتن الداخلية اضطر أن يتفق مع قيصر الروم فيدفع ألف دينار سنويا مقابل نقل هذه الفرقة الى داخل الحدود البيزنطية .

(٨) ذكر ابن الأثير والمقريزي أن خالد بن يزيد هو الذي أشار على عبد الملك كيف يعرب النقد .

(٩) أشار الى هذا العالم الفرنسي (Lavoix) نقلا عن المؤرخ الأرمني (Moise Khorene) وأشار المقريزي الى أن الحجاج أمر بتغيير جميع

المقريزي الذي ذكرناه سابقا «أن أهل المدينة أنكروا نقشها لأن فيه صورة». أما الاعتراض الجدّي فقد حدث عندما عرّب عبد الملك النقود تعريبا خالصا، ونقش عليها مأثورة التوحيد وبعض آي الذكر الحكيم، فسميت مكروهة(١٠)، لأن الجنب أو الحائض يمسّ النقود، ولكن هذا الاعتراض تلاشى تدريجيا بعد ذلك.

ان ما أورده المؤرخون من المأثورات التي كتبت على النقد العربي الخالص ليس دقيقا، فهم يخلطون بين المأثورات التي كتبت على الدراهم العربية الساسانية، وتلك التي كتبت على الدراهم العربية الصرفة. وفيما أوردوا مما كتب على النقد «الله أحد الله الصمد». وبعضهم وضع قبلها «قل هو»، ولكنها لم تظهر على أي نقد أموي لدينا الآن. ويذكر ابن خلدون أن عبد الملك نقش السكة باسمه وتاريخه، وفي الواقع لم يضع عبد الملك اسمه الا على الفلوس التي تحمل صورته فقط وكانت غير مؤرخة. أما الدينار والدرهم فقد خلوّا تماما من اسمه.

دور الدرب ونفقاته: ذكر هذه المعلومات بوضوح ابن مماتي، وكان يصف دور السّك في عصره. ووردت معلومات جزئية عنها في المراجع الأخرى.

° ° °

بعد أن استعرضنا المعلومات التي أوردها الرواة عن نشأة السكة العربية، نستعرض فيما يلي أمثلة من النقود لمعرفة مراحل تطوّرها واقترابها من التعريب، حتى غدت عربية خالصة.

وتاريخ السكة العربية هو تاريخ الشخصية العربية الأصيلة التي أخذت تثبت وجودها شيئا فشيئا، وتجري تبديلا بعد آخر، مراعية الحكمة، والظروف السياسية، والعرف الاقتصادي. وبعد أن هيأت الظروف الملائمة، أجرت التبديل الأخير، فعرّبت نقدها نهائيا، وأجبرت الأمم الأخرى على أن تخضع لمشيئتها. ثم ظلت النقود العربية الاسلامية فيما بعد غامرة الأسواق العالمية قرونا عديدة، تقلّدها الأمم الأجنبية الناشئة حين تريد أن تسكّ لنفسها نقودا، ليكتب لها الرواج في العالم. وان بيزنطة نفسها، التي كانت مناوئة لتعريب النقود، أخذت تقلد النقد العربي بعد مدة يسيرة.

ونقتصر في هذه الدراسة على تطور النقود العربية في شمالي الجزيرة العربية، حيث كانت عاصمة الدولة الأموية.

المرحلة الأولى: كانت فيها النقود العربية البيزنطية تشبه النقود البيزنطية الأصيلة الى حدّ كبير، وهي خالية من الكلمات العربية، وتتميز عنها فقط بأنها تحمل أسماء مدن الضرب العربية، التي لم تكن موجودة على النقود في العهد البيزنطي. ويلاحظ وجود خطأ في الكتابة اليونانية المنقوشة عليها. ويقدّر العلماء بأنها ضربت حوالي سنة ٦٥٠م.



المثال الأول: يبدو على الوجه رسم الامبراطور جوستان الثاني، والامبراطورة صوفيا، وحولهما اسم مدينة «بيسان — CKYOOTTOAHC».

وعلى الخلف نقش الحرف M الذي يشير الى أن النقد نحاسي، وفي قلب الحرف سمة الضرب الرسمية A، وفي الحقل الأيسر كلمة (ANNO) نقشت عموديا وتعني «سنة»، وفي الحقل الأيمن التاريخ 411 رقم عموديا ويعني العدد ثمانية (ولا يدرى المقصود منه بالضبط). وفي الأسفل نقشت كلمة (NIKO) وهي جزء من اسم المدينة «نيكوميديا» الموجود على النقد البيزنطي الأصيل، كتبت بدون داع، لأن النقد يحمل اسم مدينة «بيسان». ويلاحظ أن الحرف الأخير، وهو (O) قد انزلق الى تحت التاريخ دون انتباه.





المثال الثاني: نقش على الوجه رسم للامبراطور «هيراقليوس» وهو جالس، وفي الحقل الأيسر طائر على قاعدة تشبه حرف T، وفي الحقل الأيمن كلمة (ΛEO). وقد اختلف العلماء في تفسيرها، فيقول «كاراباسيك» ان معناها «وافية»، بينما يرى «لافوا» أن معناها «فلس».

وعلى الخلف يبدو حرف M، فوقه الرمز ، وفي وسطه سمة الضرب — . وفي الحقل الأيسر كلمة ANO (١١) في الحقل الأيمن العدد x411 وهو ١٨، ويرجح «لافوا» ان هذا الرقم يعني التاريخ الهجري، بينما يستبعد الدكتور «ووكر» هذا الفرض. وفي الأسفل جزء من اسم دمشق ΛAM.

المرحلة الثانية: ظهرت فيها كلمة أو كلمات عربية على نقود نحاسية عربية — بيزنطية، لا زالت تشبه النقود البيزنطية الأصيلة.

المثال الثالث: نقش على الوجه رسم الامبراطور «هيراقليوس» وهو واقف، وفي الحقل الأيسر الطائر المعهود، وفي الحقل الأيمن كلمة ΛEO.

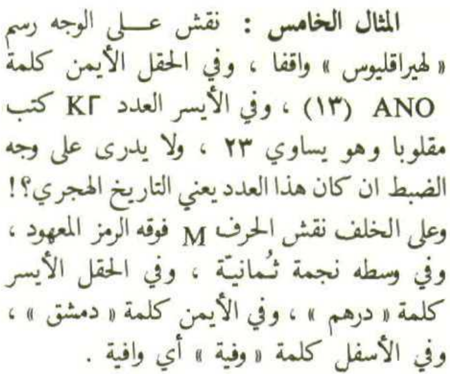
وعلى الخلف نقش الحرف M في أعلاه صليب، وفي وسطه سمة الضرب ۞، وفي الحقلين الأيسر والأيمن اسم «بعلبك» باليونانية مقسوم الى شطرين عموديين TTAI8TTOΛE (١٢) وفي الأسفل كتب بعلبك التي يعتقد الدكتور «ووكر» انها كلمة «بعلبك» كتبت بالخط الكوفي.



المثال الرابع: نقش على الوجه رسم «لهيراقليوس» واقفا وعلى يساره اسم دمشق باليونانية. وعلى الخلف نقش الحرف M فوقه الرمز ⚓، وفي وسطه سمة الضرب ◠، وفي الحقل الأيسر كلمة «حامد» أي جائز، وفي الأيمن كلمة «ضرب»، وفي الأسفل كلمة «دمشق».

(١٠) أشار الى ذلك البلاذري وابن الأثير والماوردي.
(١١) كتبت خطأ بـ N واحدة.





المثال الخامس : نقش عـــلى الوجه رسم « لهيراقليوس » واقفا ، وفي الحقل الأيمن كلمة ANO (١٣) ، وفي الأيسر العدد KΓ كتب مقلوبا وهو يساوي ٢٣ ، ولا يدرى على وجه الضبط ان كان هذا العدد يعني التاريخ الهجري؟!
وعلى الخلف نقش الحرف M فوقه الرمز المعهود ، وفي وسطه نجمة ثُمانيّة ، وفي الحقل الأيسر كلمة « درهم » ، وفي الأيمن كلمة « دمشق » ، وفي الأسفل كلمة « وفية » أي وافية .

المثال السادس : نقش على الوجـــه رسم الامبراطور هيراقليوس ، وكتب في الحقل الأيسر « بسم الله » ، وفي الحقل الأيمن KAΛO(N) وهي تعني « طيب » ، وقد كتبت الكلمة بالعربية على الخلف .

وعلى الخلف نقش الحرف M ورموزه ، وفـــي الحقلين الأيسر والأيمن كتبت كلمة « حمص » باليونانية مشطورة الى نصفين عموديين EME — CI (c) ، في الأسفل نقشت كلمة « طيّب » بالكوفي .

المثال السابع : نقش على الوجه ، رسم الامبراطور « هيراقليوس » ، وفي الحقل الأيسر نقش الطائر المعهود . وقد توجد كتابة في الحقل الأيسر ، لكنها غير واضحة .

أما على الخلف فقد نقش الحرف M فوقه الرمز ، وفي وسطه السمة C . وفي الحقل الأيسر والأسفل نقشت كلمة « طبرية » باليونانية متجهة من الأعلى الى الأسفل عكس حركة الساعـــة THBEPIAΔO . وفي الحقل الأيمن كتبت « طبريّة » بالكوفي

المثال الثامن : وهو من ضرب « دمشق » ، يشبه المثال الرابع ، الا أن « هيراقليوس » مثّل مع لده « قسطنطين » .

المثال التاسع : وهو من ضرب « طبرية » يشبه المثال السابع ، الا أن « هيراقليوس » مثّل مع ولديه « قسطنطين » و « هيراكليوناس » .

المرحلة الثالثة : سكّ فيها الدينار الذهبي العربي — البيزنطي على غرار « السوليدوس » الذهبي البيزنطي الأصيل .

وقد نقش على وجه « السوليدوس » البيزنطي « هيراقليوس » واقفا مع ابنيه ، وعلى خلفه الصليب المرتفع على أربع درجات ، مع كلمة «قسطنطينية» باليونانية .



المثال العاشر : تمّ تقليد السوليدوس البيزنطي لكن حذفت عوارض الصلبان عـــن رؤوس الامبراطور وولديه في الوجه ، وجعل الصليب في الخلف على شكل حرف T ، ويلاحظ الحرفان (I B) المجاوران للصليب في الخلف ، وهما يعنيان الرقم ١٢ .



المثال الحادي عشر : وقد نقش على وجهه رسم لهراقليوس مع ولديه بدون وجود أي صليب ، وعلى الخلف غدا الصليب البيزنطي عمودا ينتهي في الأعلى بكرة صغيرة والى جانبيه الحرفان BI (١٤) وكتب على مدار الدينار : « بسم الله لا إله الا الله وحده محمد رسول الله » .

المرحلة الرابعة : نقش فيها على الفلوس النحاسية رسم للخليفة ممثّلا على الوجه عوضا عن الامبراطور ، ويرجح المقريزي أنه معاوية ، واكتفي من النمط البيزنطي بوضع حرف M على الخلف .

(١٣) في هذه الكلمة خطآن : الأول انها تنقص N أخرى . والثاني أن N فيها لم تكتب بشكلها السوي .
(١٤) لا يوجد لهذين الحرفين تفسير مقبول ، الا ان أبدل مكان أحدهما بالآخر .





المثال الثاني عشر : نقش على الوجه رسم للخليفة واقفا يعتمر بشيء يشبه الكوفية ، ويرتدي ثيابا مخططة بالعرض ، ويضع يده اليمنى على مقبض السيف المائل الى الناحية اليسرى من الخليفة . وقد كتب في الحقل الأيسر « محمد ر » ، وفي الحقل الأيمن « سول الله » .

وعلى الخلف نقش حرف M ، وفي الحقل الأيسر كلمة « ايليا » ، وفي الحقل الأيمن « فلسطين » بالكوفي .

المرحلة الخامسة : ظل رسم الخليفة ظاهرا على الفلوس في الوجه بالوضع الذي وصفناه . واختلفت المأثورات ، كما اختلف مكان الضرب على الخلف .



المثال الثالث عشر : نقش على الوجه رسم للخليفة ، وكتب حوله في مدار النقد « بسم الله لا إله الا الله وحده محمد رسول ا(لله) » .

وعلى الخلف : نقش عمود مرفوع على أربع درجات ، في أعلاه حلقة واسعة وكتب في الحقل الأيمن « دمشق » وكتب في مدار الفلس « لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله » ، ويوجد مثل هذا المثال من ضرب « عمان »





وتوجد أمثلة مشابهة من الفلوس كتب على وجهها في الحقل الأيسر « أمر الله » ، وفي الحقل الأيمن « خلفية(١٥) ... الله » وهي من ضرب « سرمين » و « معرة مصرين » .

كما توجد فلوس مشابهة كتب في الحقل الأيسر منها « أمير المؤ(منين) » ، وفي الحقل الأيمن « خلفة ... ا(لله) » وهي من ضرب «منبج»

المرحلة السادسة : نقش فيها على الفلوس في الوجه اسم « عبد الملك » مع لقبه « أمير المؤمنين » حول شخصه وكتبت مأثورة التوحيد حول حرف M دون ذكر اسم المدينة المضروب فيها . ونمط هذا الفلس شبيه بنمط الفلس المضروب بعمان ، بيد أنه لم يدم طويلا . ثم ظهرت فلوس باسم عبد الملك ، ولقبه ، ومكان الضرب ، ظهرت عليها أسماء المدن التالية : بعلبك ، جبرين ، حلب ، حمص ، دمشق ، سرمين ، عمان ، قنسرين ، سيرين ، قورس — وهي في شمالي سورية — ، سر (١) ج — وهي مدينة غير معروفة الآن .

المثال الرابع عشر : نقش على الوجه رسم لعبد الملك ونقش في مدار الفلس « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » .

وعلى الخلف : نقش العمود المرفوع على أربع درجات وفي أعلاه حلقة ، وكتب في الحقل الأيسر « بسرج » ، وفي الحقل الأيمن كلمة « واف » . ونقش في مدار الفلس « لا إله الا الله وحده محمد رسول الله » .

المرحلة السابعة : ربما تمت هذه المرحلة مع المرحلة السادسة ، وفيها ضرب الدينار العربي — البيزنطي المؤرخ باللغة العربية ، ولم يبق فيه من الأثر البيزنطي الا وضع صورة عبد الملك ، والصليب البيزنطي المحوّر (العمود المرفوع على أربع درجات وعلى رأسه حلقة) . ويوجد منه في العالم حاليا أربعة دنانير ، كل منها وحيد ، فالأول ضرب سنة ٧٤هـ وهو محفوظ في متحف كراتشي ، والثاني ضرب سنة ٧٥هـ ومحفوظ في نيويورك ، والثالث ضرب سنة ٧٦هـ ، والرابع ضرب سنة ٧٧هـ وكلاهما محفوظ في باريس .

(١٥) ربما كان المقصود منها « خليفة » ، ولم يستطع الدكتور ووكر فك الكلمة التي بعد خليفة .





المثال الخامس عشر : نقش على الوجه صورة عبد الملك ، ورقم في مداره « بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله » .

وعلى الخلف : نقش العمود وفي مداره « بسم الله ضرب هذا الدينر سنة أربع وسبعين » .

المرحلة الثامنة والأخيرة : ظهر فيها الدينار العربي الخالص الخالي من أي تأثّر بنمط أجنبي. وأقدم دينار من هذا النوع ضرب سنة سبع وسبعين هجرية ، ولا يوجد منه الا مثال واحد محفوظ في المتحف البريطاني بلندن .





المثال السادس عشر : نقش على الوجه :

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

وعلى المدار « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ونقش على الخلف :

الله احد الله

الصمد لم يلد

ولـــم يـولـد

وعلى مداره : « بسم الله ضرب هذا الدينر (في) سنة سبع وسبعين .

واستمر الدينار العربي في العهد الأموي على هذه الصورة ، قطره ما بين ١٩ و ٢١ مليميتر ، ووزنه ٤,٢٥ غرام تقريبا ، ولكن طرأ على مأثورة الضرب تعديل بسيط ، وهو أن كلمة « في » لم تعد تبدو على الدينار سنة ٨١هـ وما بعد .

كما ضربت أجزاء الدينار ، النصف ، والثلث ، والربع .

ونقش على وجهه :

بسم الله

الرحمن

الرحيم

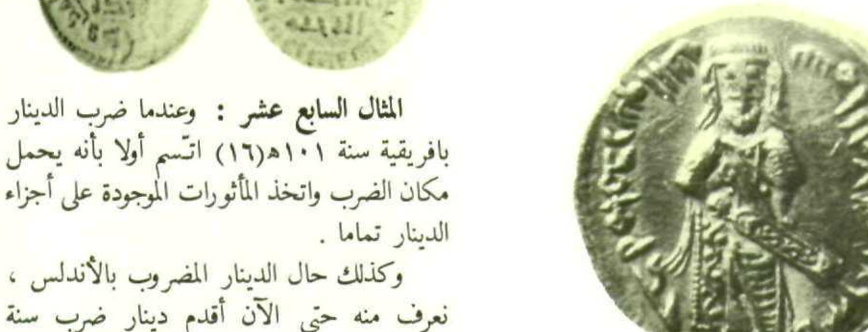
وعـــلى خلفه :

لا اله

الا الله

وحده

وعلى مدار الوجه : « ضرب هـذا (النصف) سنة « ... » وعلى مدار الخلف « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق » .

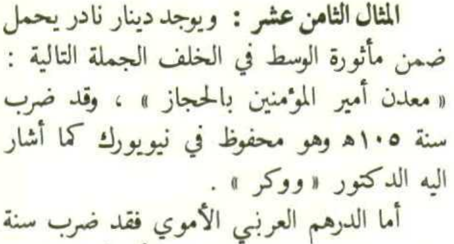


المثال السابع عشر : وعندما ضرب الدينار بافريقية سنة ١٠١هـ(١٦) اتّسم أولا بأنه يحمل مكان الضرب واتخذ المأثورات الموجودة على أجزاء الدينار تماما .

وكذلك حال الدينار المضروب بالأندلس ، نعرف منه حتى الآن أقدم دينار ضرب سنة ١٠٢هـ ، وهو محفوظ في نيويورك كما ذكره الدكتور « ووكر » .







المثال الثامن عشر : ويوجد دينار نادر يحمل ضمن مأثورة الوسط في الخلف الجملة التالية : « معدن أمير المؤمنين بالحجاز » ، وقد ضرب سنة ١٠٥هـ وهو محفوظ في نيويورك كما أشار اليه الدكتور « ووكر » .

أما الدرهم العربي الأموي فقد ضرب سنة ٧٩هـ(١٧) ، ويمتاز عن الدينار بأن مكان الضرب مذكور عليه ، مما يدلّ على أن الخليفة سمح للولاة بضرب الدراهم في مراكزهم ، ولم يسمح بضرب الدينار الا في المناطق النائية كافريقية والأندلس .



المثال التاسع عشر : ومأثورات الدرهم الأموي تختلف قليلا عن مأثورات الدينار الأموي من حيث الطول والتوزيع . أما قطره فيتراوح بين ٢٧ — ٢٩ مليمترا ، ووزنه يتراوح بين ٢,٦٠ — ٢,٩٥ غرام ■

(١٦) المعلوم حتى الآن أن الدينار ضرب في أفريقية سنة ١٠٢ هـ اعتمادا على اعلام من الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في تونس . وقد ذكر التحديد الدكتور عبد الرحمن فهمي في كتابه « فجر السكة الاسلامية » ، الا أنني حصلت على طبعة دينار من السيد الياس بسترس في بيروت ضرب سنة ١٠١هـ

عملية التفاهم بين المتكلم والسامع

بقلم الدكتور ابراهيم انيس

تصوّر معي رجلا يسير في أحد شوارع المدينة مع صبي صغير ، ثم تصور أن يمر الرجل والصبي بمطعم يعرض بعضا من أصناف الطعام تنبعث منها رائحة شهية ، فيسترعي كل هذا انتباه الصبي ، ويسيل له لعابه ، ويحس بالجوع ، فينطق بمجموعة من الأصوات اللغوية ، ويقول للرجل مثلا : « هات لي شطيرة من هذا الشواء » .. وهنا قد نرى الرجل يتقدم نحو ذلك المطعم ، ويشتري شطيرة ، ويناولها للصبي ، فيلتهمها وهو مسرور مغتبط !

في هذا الحدث البسيط تمت عمليات كثيرة ، بعضها عضوي وبعضها نفسي ، قبل أن يتحقق على صورة من الصور . وأولى تلك العمليات أن شعاعا من الضوء قد انعكس على عيني الصبي من ذلك الطعام المعروض ، ففسره الصبي بأن أمامه طعاما شهيا ، وقد صحب هذا الضوء المنعكس رائحة تعوّد الصبي أن يشتهيها ، وكان الصبي في نفس الوقت يحس بافراز في فمه هو اللعاب ، وبافراز في معدته في شكل عصارة تولد الاحساس بالجوع .

وكل عملية من تلك العمليات تتطلب من المتخصص دراسة طويلة ، وبحوثا مستفيضة . فطبيب العيون يفسر كيف تنعكس أشعة الأشياء المرئية على العيون ، وكيف تتم الرؤية . وطبيب الأنف يوضح كيف يكون الشم ، وكيف يرتبط بالتجارب السابقة لكل منا . وطبيب آخر يفسر كيف يتم افراز اللعاب وعصارة المعدة . ويتطلب كل هذا بحوثا علمية يتوفر عليها نخبة من البحاثة المختصين ، منهم الطبيب والكيميائي والصيدلي وغيرهم .

وتتم كل هذه العمليات المعقدة في سرعة لا تكاد تجاوز بضع ثوان ، ينطق الصبي بعدها بتلك الكلمات . أما عملية النطق فيشترك فيها هواء الرئتين والحنجرة واللسان والشفتان ، وتتم بعد أشكال وأوضاع عديدة يأخذها اللسان في الفم ، وللشفتين ، بعدها يصدر الهواء الى الخارج ، وينتقل في شكل موجات صوتية معينة الى أذن السامع ، فتحدث في طبلتها أثرا خاصا ، هو الذي تحمله أعصاب الأذن الى المخ ، فيفسرها أو يفهمها .

أما ما يتم بعد النطق كأن يسارع الرجل الى تلبية رغبة هذا الصبي ، ويخرج بعضا من النقود ، وينتظر دوره في الشراء ، فعملية اقتصادية يعنى بها رجال الاقتصاد .

وهكذا نرى أن الحدث الصغير من أحداث الحياة ، قد يتطلب عمليات كثيرة معقدة ، بعضها يسبق عملية النطق ويمهد لها ، وبعضها يليها وينتج عنها . وكل هذه العمليات ضرورية لتحقيق الفهم أو التفاهم الذي لا يتم اذا نقصت تلك العمليات عنصرا من عناصرها .

ولسنا نزعم أن الظروف التي أحاطت بالصبي في مثلنا السابق تؤدي حتما ، وفي كل مرة ، الى نفس العبارة التي نطق بها . فقد يرى الصبي الطعام ويشم الشواء ويحس بالجوع ، ومع هذا ينطق بعبارة أخرى أو لا ينطق . اذ يتوقف هذا على صلته بالرجل وتجاربه معه ، فقد يكون الرجل والدا لهذا الصبي .. يدلله ويلبي كل طلباته ، وقد يكون الصبي خجولا فلا يتكلم ، وقد تكون تجاربه السابقة مع هذا الوالد لا تشجعه على النطق . كذلك ليس من الضروري أن يسارع الرجل الى الشراء ، فقد يكون خالي الوفاض لا يملك من المال ما يسمح بالشراء ، فيصرف الصبي في رفق أو عنف .. الى غير ذلك من الظروف والأحوال والملابسات التي لا تكاد تحصى .

ويعنى اللغوي عادة بالتعرف على الدور الذي تقوم به العبارة المنطوقة ، أو تلك الأصوات اللغوية ، التي تصدر من الفم وتتلقفها الأذن . ويستعين في هذا بعلم وظائف الأعضاء وعلم التشريح وعلم الطبيعة .

ولا يكاد الناس يعنون بتلك الأصوات اللغوية الا بمقدار ما تحققه لهم من أغراض . فالصبي في مثلنا السابق يعنيه أولا الشطيرة نفسها ، لأنها هي التي تسد رمقه .

ومع أن بعض أنواع الحيوان قد تستجيب لبعض الأصوات على ما يشبه النحو الذي وصفناه آنفا ، الا أن أصوات الحيوان محدودة قليلة يمكن حصرها بسهولة . فالهرة مثلا لا تكاد تستخدم في كل مطالبها وحاجياتها أكثر من ثلاثة أو أربعة أصوات ، يستطيع دارس الحيوان أن يتعرف عليها بسهولة ، وأن يميز بينها .

أما الانسان فكلامه كثير التنوع متعدد الألوان ، ولا تكاد تحصى أصواته أو ألفاظه .

وهو يتخذ لكل منها دلالة معينة تحقق له غرضا من أغراض الحياة المتعددة التي لا تنتهي الا بانتهاء الحياة نفسها .

ويتخذ الانسان من الكلام وسيلة للتفاهم بين أفراد مجتمعه ، كما قد يستعين به في التأمل والتفكير ، ولا غرابة في أن يقال أن الانسان يفكر بكلمات شبه منطوقة .

والأمر الذي لا يزال يحيّر المفكرين هو كيف تثير هذه الأصوات تلك الدلالات في الأذهان ، ولم لا تثير في كل مرة الدلالات نفسها ، أو تؤدي الى التصرفات ذاتها ؟ وازاء هذا الأمر ينقسم العلماء الى فريقين ، يرى أحدهما أن لكل منا نفسا أو روحا محله الجسم ، ولكنه يختلف عن تلك المادة الملموسة المحسوسة في كنهه ، ويمت الى عالم آخر غير عالم المادة المألوفة لنا ، عالم روحاني غير خاضع للملاحظة أو التجربة بالحواس كما تخضع ظواهر الطبيعة الأخرى . فقد يسهل التعرف على كل تفاعل كيميائي ، وقد يسهل تتبع النمو في النبات والحيوان ، وغير ذلك من ظواهر الطبيعة التي أخضعها الانسان للملاحظة والتجربة ، واستطاع تفسيرها ووضع أسبابها ومسبباتها ، وانتهى في شأنها بالكشف عن نظمها ، وأصبح معها قادرا على استقراء النتائج من المقدمات ، والوصول الى كليات لا تكاد تقبل الخلاف ، أو النزاع .

أما النفس فقد تبين لهؤلاء الدارسين أنها غير خاضعة للتجربة والملاحظة بوساطة الحواس ، ولكنهم برغم هذا يؤمنون أن للنفس نظاما أيضا وان مقدمات هذا النظام تؤدي حتما الى نتائج معينة ، فليست تسير النفوس على غير هدى أو دون نظام ، وان كنا لا نزال نجهل مثل ذلك النظام ولا نكاد نقف على أسراره .

أما الفريق الثاني فيرى أن الجسم الانساني جهاز شديد التعقيد أجزاؤه متشابكة ونواحيه متداخلة ، فيه الأعصاب بمثابة الأسلاك التي تكوّن شبكة معقدة غاية التعقيد محكمة أدق الاحكام . ويتأثر هذا الجهاز كله بأقل خلل في أي عضو منه ، مهما دق أو صغر . وقد عرف الانسان حتى الآن عن ذلك الجهاز الجسماني القليل ، أو أقل من القليل ، ولا يزال يجهل الكثير عنه ، بل ان سره لا يزال مغلقا عليه . لذلك يعمد أصحاب هذا الرأي الى نوع من التجربة الخارجية ، حين تشق عليهم ملاحظة معظم ما يجري داخل هذا الجهاز الانساني . ويقتنعون بملاحظة الآثار الخارجية التي تترتب على تلك العمليات الداخلية ، لعلهم يهتدون الى شيء من أسراره وخفاياه .

ومن هؤلاء الماديين بعض الأطباء الذين حاولوا الربط بين عملية النطق وعملية الفهم بملاحظة بعض الأمراض أو الاصابات التي قد تعتري المخ الانساني . وقد تيسر لهم فحص حالات كثيرة من المصابين في أجزاء المخ ونواحيه . فمن هؤلاء المصابين من فقد القدرة على النطق ، وبقيت له القدرة على الفهم ، ومنهم من فقد كل ما حفظه من ألفاظ لغته ، ومنهم من تلعثم في نطقه ، ومنهم من فهم الألفاظ ولكنه لم يستطع ترتيبها الترتيب المألوف حين تكلم .. الى غير ذلك من حالات كثيرة حاولوا عن طريقها أن يبينوا لنا اختصاص كل منطقة من مناطق المخ الانساني بعملية معينة من عمليات الفهم والافهام . ولكنهم مع هذا وبرغم ما بذلوه من تجارب ومشاهدات ، لم يصلوا الى رأي قاطع في بحث الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها أو ما تثيره في الأذهان من عمليات نسميها بالفهم مرة وبالتفكير مرة أخرى .

واذا كنا قد أخفقنا حتى الآن في دراسة هذه الظاهرة في الفرد الانساني فمن الخير أن نخرج بدراستها الى مستوى المجتمع الانساني ، وذلك بأن يعرض الحدث اللغوي على أكبر مجموعة من الناس ثم نلاحظ تصرفهم ازاءه ، مستعينين بعلم الاحصاء للوصول الى أعلى درجة من الاحتمال .

ويكفي حينئذ أن يقال أن الناس في مجموعهم يتصرفون تصرفا معينا حين يسمعون جملة معينة ، دون أن نخصص فردا معينا منهم بمثل هذا الحكم . وتكون دراستنا حينئذ كدراسة كثير من المظاهر الاجتماعية الأخرى ، دون التعرض لشخص بالذات .

ومن حسن الحظ أن دراسة اللغة في المجتمع لا تتطلب الكثير من الاحصاء أو الاستقصاء ، بل يكفي في بعض الأحيان الحكم على البيئة اللغوية وتصرفاتها ، ازاء حدث لغوي معين ، من ملاحظة هذا في عدة أفراد . فدارس اللغة العربية مثلا حين يسمع بعض الأفراد من أبناء العرب ينطقون بعبارة ، مثل « صباح الخير » ، ويرى أن السامع يستجيب الى مثل هذه العبارة بقوله « أهلا وسهلا » ، يستطيع أن يحكم حكما عاما على هذه البيئة العربية مقررا أن أفرادها في مجموعهم يستجيبون لمثل تلك التحية هذه الاستجابة المعينة .

وليس مثل هذا الحكم بمانع من أن بعض أبناء العرب قد يجيب اجابة أخرى أو قد لا يجيب . فأفراد البيئة اللغوية يخضعون في مجموعهم لنظام عام يألفونه ويشيع بينهم ، وكلما عرض لهم حدث لغوي يتصرفون ازاءه على حسب هذا النظام العام . فاللغوي يحكم عليهم بوصفهم مجموعة لا بوصفهم أفرادا ، ولا يكاد يعنى بتلك الحالات الخاصة التي قد تدفع متكلما معينا الى النطق بغير المألوف من الكلام في بيئته الاجتماعية ، بل يوجه عنايته الى ذلك النظام العام الذي ينتظم أفراد البيئة اللغوية . هب مثلا أن أحد أبناء العرب تعوّد أن يحيي الناس في الصباح بتحية أجنبية مثل « بنجور » ، فلا يصح أن يتخذ مثل هذا دليلا على أن التحية الصباحية بين أبناء العرب تكون على هذا النحو .

ولذلك نأخذ على بعض اللغويين القدماء مسلكهم حين خلطوا بين الصفات الخاصة والصفات العامة للغة . فبينما نراهم يحكمون حكما عاما على لغة العرب ، نلحظ أنهم في بعض الأحيان يقحمون في أحكامهم تلك التجارب الخاصة ، فيقول أحدهم مثلا : « سمعت أعرابيا يقول كذا ، أو سمعت أمرأة من قبيلة كذا تقول كذا ! » وقد اتخذوا من تلك التجارب الخاصة وجوها من القول ، أو رخصة يجعلونها جنبا الى جنب مع الوجه العام أو المسلك اللغوي الذي ينتظم أفراد البيئة العربية .

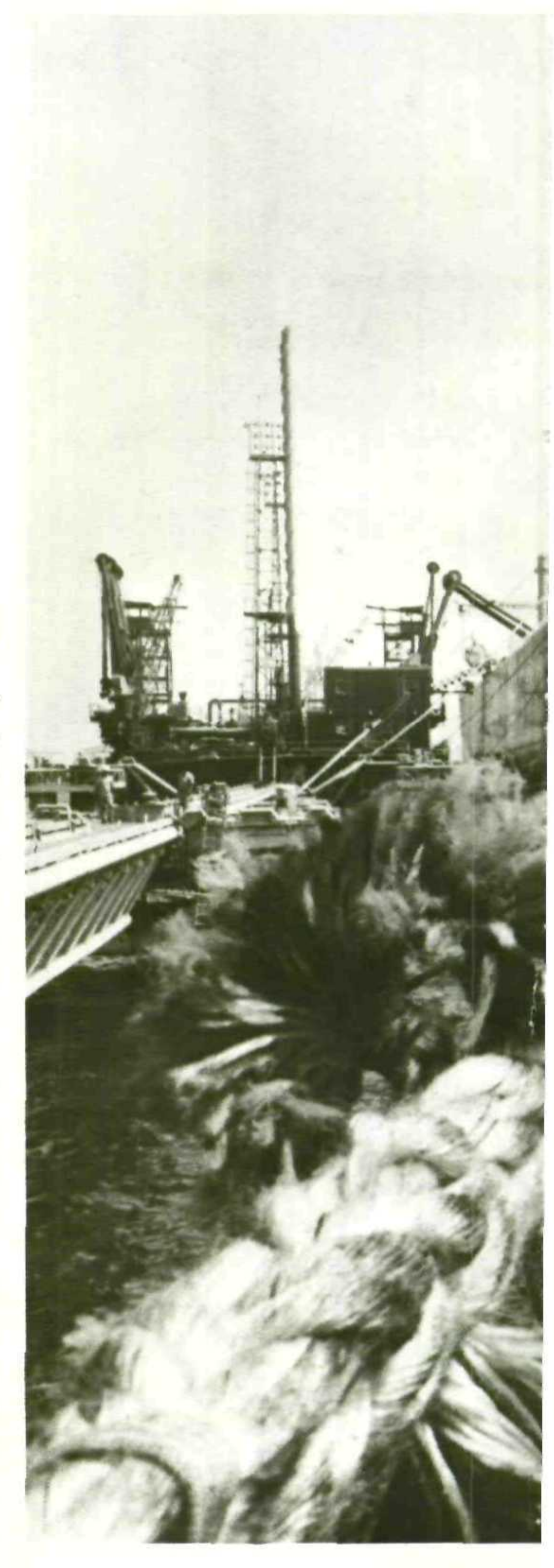
وقد كان من نتيجة ذلك ان تعقدت قواعد لغتنا العربية على أساس الظواهر العامة والظواهر الخاصة معا ، حين اضطربت أحكامهم واختلفت أقوالهم في المسألة الواحدة . وذلك لأنهم كانوا يخضعون لسيطرة ما يسمى بالسليقة العربية ، ويؤمنون أن ملكة اللسان العربي ترتبط ارتباطا وثيقا بالجنس العربي أو الوراثة ، وعليه فكل ما ينطق به العربي يجب أن يتخذ عنصرا عاما من عناصر اللغة ■

ناقلات الزيت الضخمة



.. الى أين؟

في معظم بحار الدنيا ، ومنذ اكتشاف الزيت .. تمخر أفواج الناقلات عباب الموج ، تحمل الزيت الخام ، أو مشتقاته الى مناطق الاستهلاك في شتى البقاع والأصقاع .. ناقلات صغيرة الحجم تبحر في مختلف الممرات المائية محملة بمصادر الطاقة التي تحتاجها المراكز الصناعية الساحلية أو الداخلية ، وناقلات متوسطة الحجم تنقل مشتقات الزيت المكررة بكميات كبيرة الى مناطق الطلب عليها ، وناقلات عملاقة تنقل الذهب الأسود .. عشرات آلاف الأطنان منه الى المرافئ الكبيرة ، حيث يجري تكريره في معامل التكرير المختلفة .



كان الزيت في مطلع اكتشافه يعبأ في صفائح سعة الواحدة منها خمسة جالونات ، أو براميل خشبية سعة الواحد منها ستة جالونات ، ثم يشحن في السفن الى جانب البضائع الأخرى . ومع ازدياد الطلب عليه في الأسواق لجأ منتجوه لشحنه الى استخدام خزانات حديدية كبيرة الحجم تثبت داخل هياكل السفن . وفي عام ١٨٦٣ بنيت في انجلترا سفينة شراعية مجهزة بمستودعات لنقل شحنات كبيرة من الزيت ، وبمضخات تكفي لتحميل وتفريغ ٧٠٠ طن منه . وكانت هذه السفينة مصنوعة من الحديد ، بخلاف سفن الشحن الأخرى التي كانت تصنع من الخشب . ومع ذلك ظلت صفائح الزيت وبراميله تنقل بسفن الشحن العادية الى فترة طويلة ، اذ لم تكن بعد قد بنيت أية سفن تختص بنقل الزيت دون غيره من البضائع .

ومع اطراد ازدياد الطلب على الزيت واتضاح الفوائد الاقتصادية الناجمة عن نقله بالجملة نشأت فكرة استخدام هيكل السفينة ذاته كوعاء للزيت . ولعل أول سفينة صممت من قاعها الى قمتها لغرض نقل الزيت هي الباخرة « جلوكوف » التي بنيت في أواخر عام ١٨٨٥ بحمولة مقدارها ٢ ٣٠٧ أطنان ، وقد امتدت مستودعاتها بحيث شملت جدرانها ، كما هو معمول به الآن عند بناء ناقلات الزيت الحديثة . فكان ذلك بداية عهد جديد من عهود النقل البحري ، وخطوة تبعتها خطوات في مجال نقل الزيت .

وفي أوائل القرن الحالي وبعد اكتشاف الزيت في أرجاء مختلفة في العالم ، طرأ تغيير مهم على تجارة الزيت العالمية ، الأمر الذي شجع على اجراء تغييرات كثيرة في تصميم الناقلات وفي حجومها . ونتيجة لذلك ارتفعت طاقة الناقلات المستخدمة آنذاك من نصف مليون طن في بداية القرن الحالي الى مليون طن عام ١٩١٤ . كما ارتفع معدل حمولة الناقلة الواحدة من ٥ ٠٠٠ طن الى ٦ ٠٠٠ طن . ثم تمكنت مجموعة شركات « شل » الهولندية خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى من بناء أول سفينة عابرة للمحيطات تدار بالمحرك ، ومع أن السفينة كانت صغيرة الحجم ، اذ لم تتعد حمولتها الساكنة ١ ٢١٥ طنا ، الا أنها أقامت الدليل القاطع على امكانية بناء ناقلات أضخم على هذه الشاكلة .

ثم أخذت خطط التطوير التدريجي للناقلات تتكرس في شتى المجالات ، وخاصة في مجالات الحجم والسرعة ، فارتفع معدل حجم الناقلة الى ١٠ ٠٠٠ طن من الحمولة الساكنة ثم الى ١٢ ٠٠٠ طن بسرعة ١١ عقدة . ومع اطلالة عام ١٩٣٩

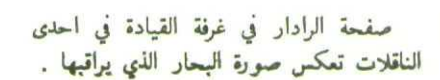


الناقلة اليابانية « تويوسو مارو » ، وهي خاصة بنقل غاز البترول السائل المبرد ، عند رسوها في فرضة التحميل في رأس تنورة لتأخذ حمولتها الأولى.

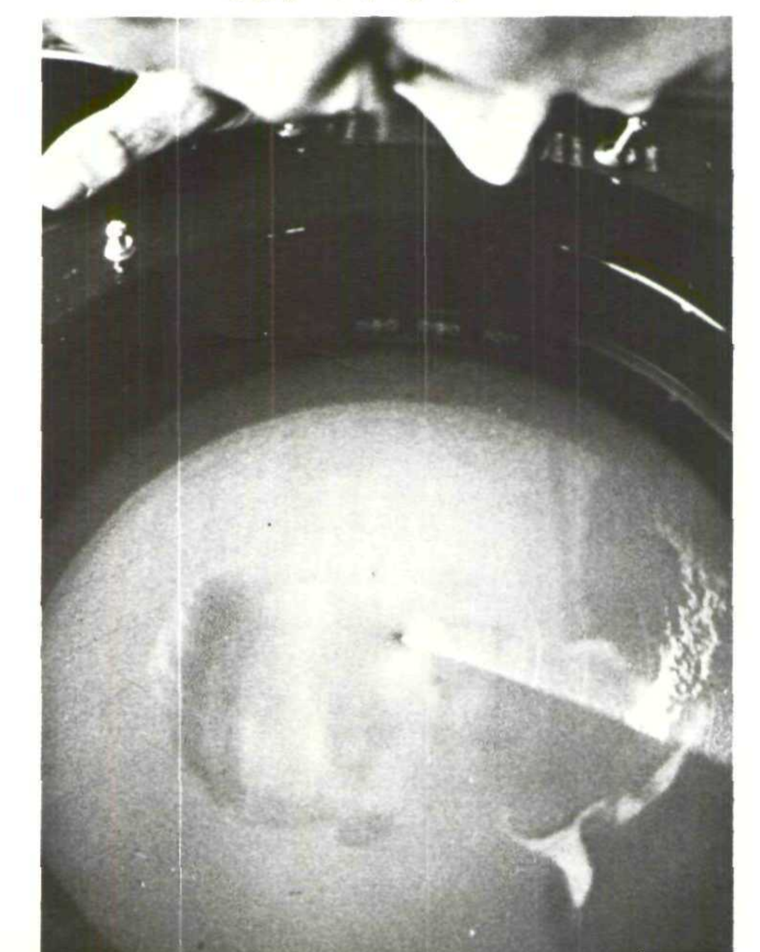
كان عدد الناقلات في العالم قد زاد على ١٥٠٠ ناقلة مجموع حمولتها ستة عشر مليونا ونصف المليون من الأطنان . وخلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٥ استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية بناء نحو ٥٠٠ ناقلة من طراز «ت–٢» ، معدل حمولة الواحدة منها ١٦٦٠٠ طن وسرعتها ١٤,٥ عقدة ، فارتفع بذلك مجموع حمولة ناقلات الزيت في العالم الى نحو ٢٤ مليون طن .

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت منطقة الشرق الأوسط تتبوأ مركزا مهما في مجال انتاج الزيت ، كما ظهرت الى حيز الوجود سياسة بناء معامل التكرير في مناطق الاستهلاك ، بدلا من مناطق الانتاج . فساعد ذلك على قيام نهضة ملموسة في بناء الناقلات الضخمة ، لما لها من فوائد اقتصادية ، وأخذ أصحاب الناقلات يوالون بناء سفن كبيرة الحجم ، فارتفع معدل حمولة الناقلة الى ٣٢٠٠٠ طن ، ثم الى ٤٥٠٠٠ طن ، فالى ٨٤٠٠٠ طن ، ثم الى ١٣٢٠٠٠ طن . بل ان ناقلات أكبر من هذه هي الآن قيد الاستعمال أو الصنع أو التصميم . ونشير هنا الى انه جرى في عام ١٩٦٧ وحده تسليم ناقلات تزيد حمولتها الساكنة على ١٠ ملايين طن من أصل نحو ١١٢ مليون طن بلغها مجموع حمولة الناقلات في العالم كله آنذاك .

ونتيجة لهذه الزيادة المطردة في حجوم الناقلات ، بدأت دول وشركات كثيرة تتخذ الخطوات الايجابية نحو توسيع موانئها وتعميقها لمواجهة ما يتطلبه استقبال هذه الناقلات من استعدادات وامكانات . فعمدت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) الى انشاء مرسيين جديدين في فرضة رأس تنورة لاستقبال ناقلات الزيت التي تبلغ حمولتها ٢٠٠٠٠٠ طن أو أكثر .



صفحة الرادار في غرفة القيادة في احدى الناقلات تعكس صورة البحار الذي يراقبها .



فئات الناقلات

تقسم ناقلات الزيت الى ثلاث فئات ، الأولى هـــي الناقلات الصغيرة الحجم ، وتتراوح حمولتها الساكنة بين ١٥٠٠٠ و ٢٥٠٠٠ طن ، وسرعتها بين ١٤ و ١٥ عقدة . وتستطيع ناقلات هذه الفئة أن ترسو في معظم موانيء الزيت ، وهي تحمل عادة بمنتجات الزيت المكررة . والفئة الثانية هي فئة الناقلات المتوسطة الحجم ، والمخصصة لنقل الزيت الخام بكميات كبيرة من مناطق الانتاج الى معامل التكرير المقامة فـــي مناطق الاستهلاك . وهي ذات حمولة تتراوح بين ٢٥٠٠٠ طن و ٧٠٠٠٠ طن ، وسرعتها نحو ١٦ عقدة . وتستطيع ناقلات هذه الفئة أن ترسو في شتى موانيء الزيت . أما الفئة الثالثة فهي فئة الناقلات الضخمة التي تزيد حمولتها على ٧٠٠٠٠ طن . وهي لا تستطيع الرسو الا في عدد قليل من مرافيء التحميل والتفريغ في العالم يتكاثر بمرور الأيام . غير أنه في نهاية عام ١٩٦٧ كان هنالك ٤٦٩ ناقلة زيت تحت الطلب معدل حمولتها الساكنة ٨٨٤٠٠ طن للناقلة الواحدة . ونتيجة لاطراد زيادة حجوم الناقلات ، غدا اصطلاح « الناقلة العملاقة » يطلق على الناقلات التي تبلغ حمولتها الساكنة ١٥٠٠٠٠ طن أو أكثر .

وبالاضافة الى هذه الفئات توجد ناقلات مخصصة لنقل أنواع معينة من الزيت المكرر كناقلات غاز البترول السائل ، والاسفلت ، وغيرهما من المنتجات التي تتطلب أوضاعا حرارية معينة أثناء النقل . أما معدل حمولة هذا الصنف من الناقلات فيتراوح بين ٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ طن. وتختلف ناقلات هذه الفئة عن الناقلات



في فجر صناعة الزيت كانت المنتجات تعبأ في براميل خشبية سعة الواحد منها ٦ جالونات ، وكانت تشحن الى جانب البضائع الأخرى في سفن الشحن العامـــة .

يواكب بناء ناقلات الزيت الضخمة انشاء مرافق لتخزين الزيت في موانيء الشحن ، وهذا ميناء رأس تنورة وقد رست فيه الناقلة اليابانية « طوكيو مارو »، وهي من أعظم الناقلات في العالم ، وبدت في مؤخرة الصورة ساحة الخزانات .

الجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة ، وأربع ناقلات عملاقة تنتظر التحميل بالزيت الخام .

العادية من حيث البناء ، والتقسيم الداخلي للهيكل ، وتتشابه معها فيما عـدا ذلك .

اقتصاديات ناقلات الزيت

هنالك عوامل كثيرة تؤثر في تكاليف الشحن بالناقلات ، كسعر شراء الناقلة أو بنائها ، وحجمها ، وسرعتها ، ونوع وقودها ، وطاقة ضخها ، وتكاليف تسييرها . ولكن يمكن القول أنه كلما كبر حجم الناقلة كلما انخفضت أجرة نقل الطن الواحد فيها . وتتفاوت تكاليف بناء الناقلة تفاوتا كبيرا تبعا لحجمها وتصميمها ولحالة السوق في الوقت الذي يوصى فيه على بنائها . ففي أواسط الخمسينات من هذا القرن فاق الطلب على الناقلات قدرة أحواض السفن على بنائها ، وكان على الشركات التي توصي على ناقلات جديدة أن تنتظر سنين عديدة قبل أن تتسلم ناقلاتها . ولكن الوضع تغير بعد عشر سنوات ، وأصبح بالامكان استبدال عشر مجموع الناقلات في العالم سنويا ، ونتج عن ذلك أن احتدت المنافسة بين شركات بناء السفن ، وتدنت أسعار البناء ، فكان لـذلك كله أثره على أجور الناقلات أيضا .

كما أن نوع المحرك ونوع الوقود الذي يسير الناقلة يؤثران أيضا على الأجور التي تتقاضاها اذ تتناسب الأجور طرديا مع تكاليف التسيير . أما طاقة الضخ فانها تحدد طول المدة التي ستمكثها الناقلة في مرافق التحميل والتفريغ ، وكلما طالت تلك المدة كلما زادت نفقات الناقلة ، وبالتالي تزداد نفقات النقل فيها والعكس صحيح .

في السنوات الأخيرة طرأت تحولات مهمة على اقتصاديات الناقلات بسبب الوفر الكبير الذي يرافق استعمال الناقلات الضخمة . وقد ورد في دراسة نشرتها مجلة « بترووليوم برس سيرفس » عن هذا الموضوع أن الناقلات الكبيرة ، التي تقدر حمولتها الساكنة بـ ٢٠٠٠٠٠ طن ، والتي تعمل بموجب عقود طويلة الأمد ، تحقق مقدارا متزايدا من الوفر في الأجور .

والناقلات التي تزيد حمولتها على ذلك قد تحقق وفرا اضافيا في الأجور ، ولكنها تستدعي توسيع المرافق وتطوير سبل الملاحة . كما أنها تستوجب توظيف أموال كثيرة في بناء مرافق ضخمة لتخزين حمولتها . وتمخر البحار والمحيطات هذه الأيام بعض الناقلات التي تزيد حمولتها الساكنة على ٣٠٠٠٠٠ طن من الزيت .

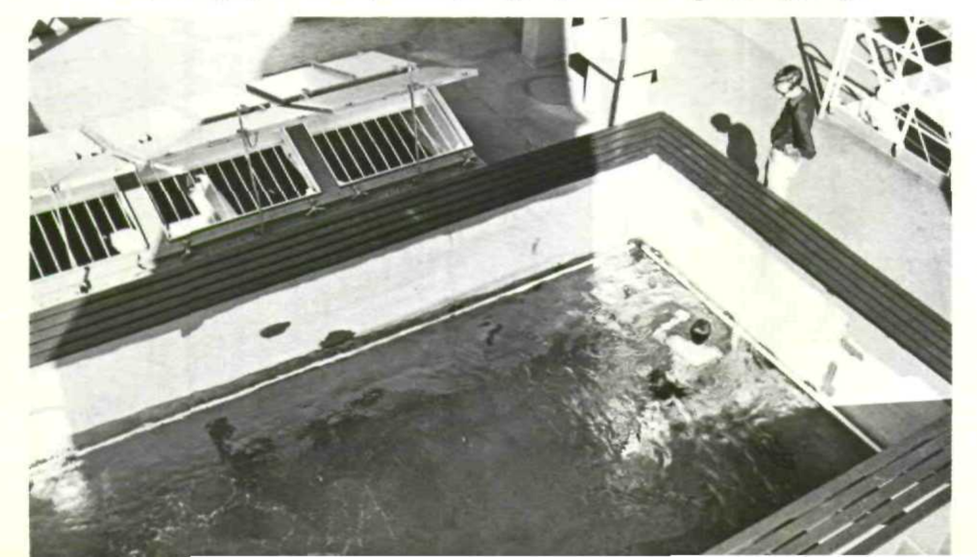


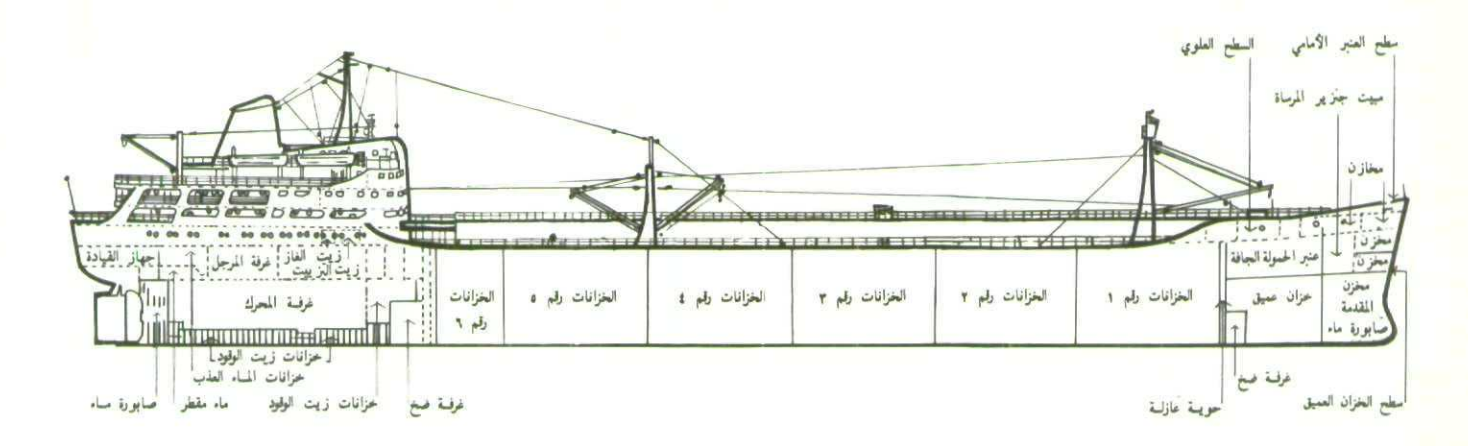
في حجرة الطعام في احدى الناقلات الحديثة ... طعام شهي وأحاديث ممتعة .



تزود الناقلات الحديثة بغرف نوم مريحة ، هي عالم البحار الخاص .

من مرافق الترفيه في الناقلات الحديثة برك للسباحة ، بالاضافة الى بعض الملاعب .





رسم تخطيطي لمقطع عرضي لناقلة زيت حديثة ذات اغراض عامة .

تنظيم أساطيل الناقلات

كانت الناقلات العاملة في تجارة الزيت قبل الحرب العالمية الثانية ترفع أعلام خمس دول فقط . وكانت الناقلات التي ترفع العلم البريطاني (أو أعلام دول الكومونولث) في المقدمة . غير أن الولايات المتحدة الأمريكية تبوأت المركز الأول سنة ١٩٤٥ . ثم حدث أن أخذت شركات أمريكية كثيرة تسجل ناقلاتها تحت أعلام دول أخرى لتفادي الضرائب الباهظة ، مما أدى الى تدني الولايات المتحدة الى المركز الخامس في العالم عام ١٩٦٧ . وكانت الناقلات المسجلة تحت العلم الأمريكي آنذاك تشكل ٧,٦ في المائة من اجمالي حمولة الناقلات العاملة في بحار العالم . وفي العام نفسه احتلت النرويج المرتبة الثانية (١٥,٧ في المئة)، وبريطانيا المرتبة الثالثة (١١,١ في المئة)، واليابان الرابعة (٩,٨ في المئة) . أما ليبريا، ولم تكن أية ناقلة مسجلة تحت علمها عام ١٩٤٥، فقد قفزت الى المرتبة الأولى بواقع ٢٢,٥ في المائة من حمولة ناقلات العالم .

أما فئات مالكي الناقلات الرئيسية فهي : شركات الزيت التي تعتبر تملك الناقلات مكملا لصناعتها ، والحكومات ، والمالكون المستقلون الذين يؤجرون ناقلاتهم للجهات الراغبة في ذلك . وكانت نسب تملك الناقلات بين هذه الفئات عام ١٩٦٧ كما يلي : ٣٠,٥ في المئة لشركات الزيت ، و ٦٢,٥ في المئة للمالكين المستقلين ، و ٧ في المئة للحكومات . ويعتبر دور المالكين المستقلين في هذا المجال على قدر كبير من الأهمية ، ذلك لأن شركات الزيت ، وهي تخطط لتوفير الناقلات تأخذ بالحسبان أولا ناقلاتها الخاصة بها ، ثم تستأجر من المالكين المستقلين بقية ما تحتاجه من ناقلات . وقد لا تزيد طاقة ما تملكه شركة الزيت من ناقلات على عشر حاجتها ، الا أنها تترك لنفسها مجالا لتلبية الطلبات العاجلة أو المتقلبة أو القصيرة التي لا يستدعيها أكثر من ناقلة لرحلة واحدة أو رحلتين . وهذا النظام من شأنه أن ييسر المرونة الأساسية لصناعة سريعة التأثر – كصناعة الزيت – بالتقلبات الطارئة ، ولمجابهة العوامل التي تحدث تحولات سريعة في العرض والطلب على حد سواء .

تصميم ناقلات الزيت الحديثة

كانت ناقلات الزيت تختلف عن بواخر شحن البضائع من حيث موقع المحرك أو آلات الدفع اذ أنها موجودة في مؤخرة الناقلة ، مما يجعل تصميمها أقل تعقيدا وبناءها أقل كلفة . غير أن أصحاب بواخر شحن البضائع لم يلبثوا أن نهجوا النهج ذاته تدريجيا . ثم ما لبثت مرافق السكن وأبراج المراقبة أن نقلت الى المؤخرة أيضا ، مما أضاف الى الوفر الناجم عن تطوير تصميم الناقلة الحديثة . ولم تقف تحسينات التصميم عند هذا الحد بل تعدته الى تطوير الوسائل الملاحية ذاتها ، ومرافق التحميل والارساء ، مما اعتبر فيما بعد خطوة هامة نحو التشغيل الآلي المعمول به حاليا في معظم الناقلات الحديثة .

واذا أمعنا النظر في الرسم المرفق وهو يمثل صورة جانبية لناقلة حديثة ذات أغراض عامة حمولتها ١٥٠٠٠٠ طن وتدار بالمحرك ، تبين لنا أن خزانات الشحن معزولة عن حيز الآلات بحيز فارغ تقريبا يدعى غرفة الضخ ، وحيز آخر عازل يخترق عرض السفينة ويدعى « الحوية » . ويتبين لنا أيضا أن الحيز في هذه الناقلة ، كما هو في معظم الناقلات الحديثة ، ليس كله مخصصا للشحن ، فهناك عدد من خزانات الجناح المعزولة عن خزانات الحمولة لا توضع فيها الا مياه البحر النظيفة حفظا لتوازن الناقلة « صابورة » . ولأن هذه الخزانات لا تعد في حساب حمولة الناقلة فهي معفاة من رسوم الحمولة .

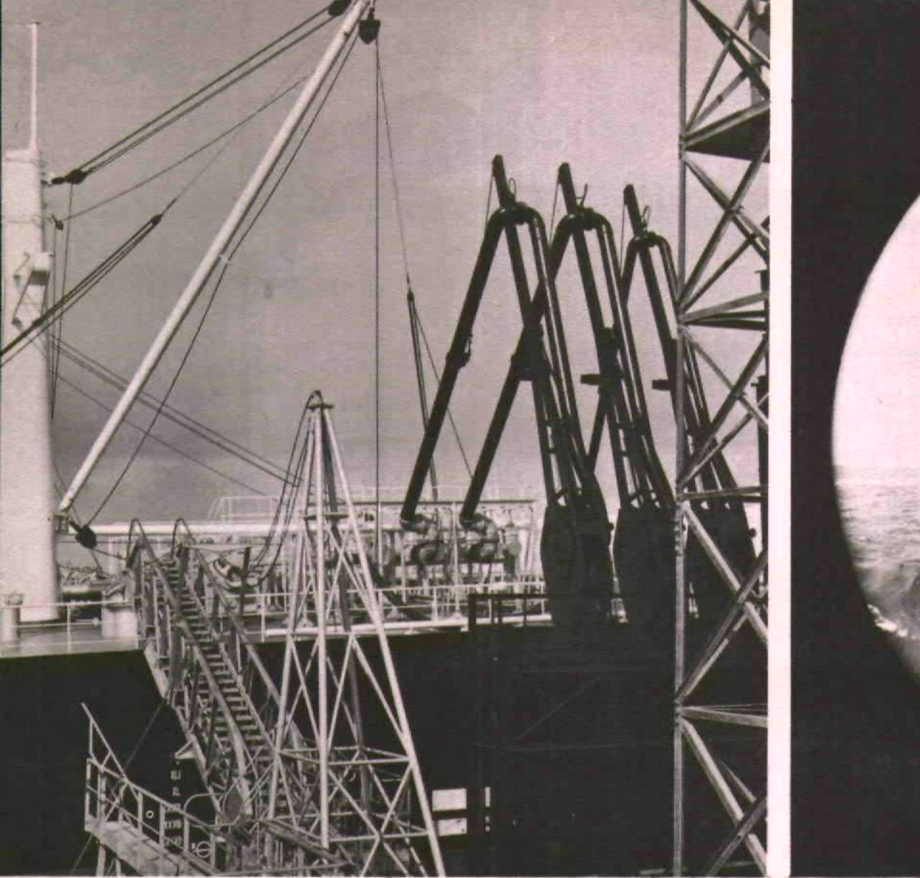
ونلاحظ من الرسم أيضا أن الناقلة ذات الأغراض العامة مصممة لنقل أصناف عديدة من الحمولة ، وتبدو في الجزء السفلي من الناقلة شبكة معقدة من الأنابيب تتيح تعبئة الخزانات وتفريغها على الوجه المناسب . وتتم عملية التعبئة أو التفريغ عبر أنابيب للسحب تتوسط هيكل الناقلة ، يمكن وصلها بخراطيم التعبئة أو التفريغ في الموانىء التي تؤمها الناقلة . وثمة صمامات كثيرة في الناقلة تنظم عمليتي التعبئة والتفريغ . أما المضخات التي تستخدم لذلك فتكون على الغالب في غرفة مراقبة الحمولة بالقرب من حيز المحركات .

وفي الناقلات الضخمة التي تكون معظم حمولتها صنفا واحدا ، يقل عدد الخزانات ويزداد طولها ، وتبعا لذلك تقل خطوط الأنابيب فيها . وقد كان لاستبدال صمامات خطوط الأنابيب التقليدية بفتحات في الأجزاء السفلية من الخزانات، وللتحسين المستمر الذي يطرأ على مضخات التعبئة والتفريغ ، أثر كبير في تخفيض الوقت اللازم لتعبئة الناقلات وتفريغها ، الى حد أنه أصبح بالامكان تعبئة ناقلة حمولتها ١٢٠٠٠٠ طن أو تفريغها في فترة لا تزيد على عشر ساعات .

وبغية التمكن من مراقبة سير الناقلة وتحميلها وتفريغها من نقطة واحدة محددة جرى تدريجيا



الناقلة « تيكساكو وستمنستر لندن »، وتبلغ حمولتها نحو ١٠٩٠٠٠ طن ، وهي من أكبر الناقلات التي أمت فرضة رأس تنورة هذا العام .



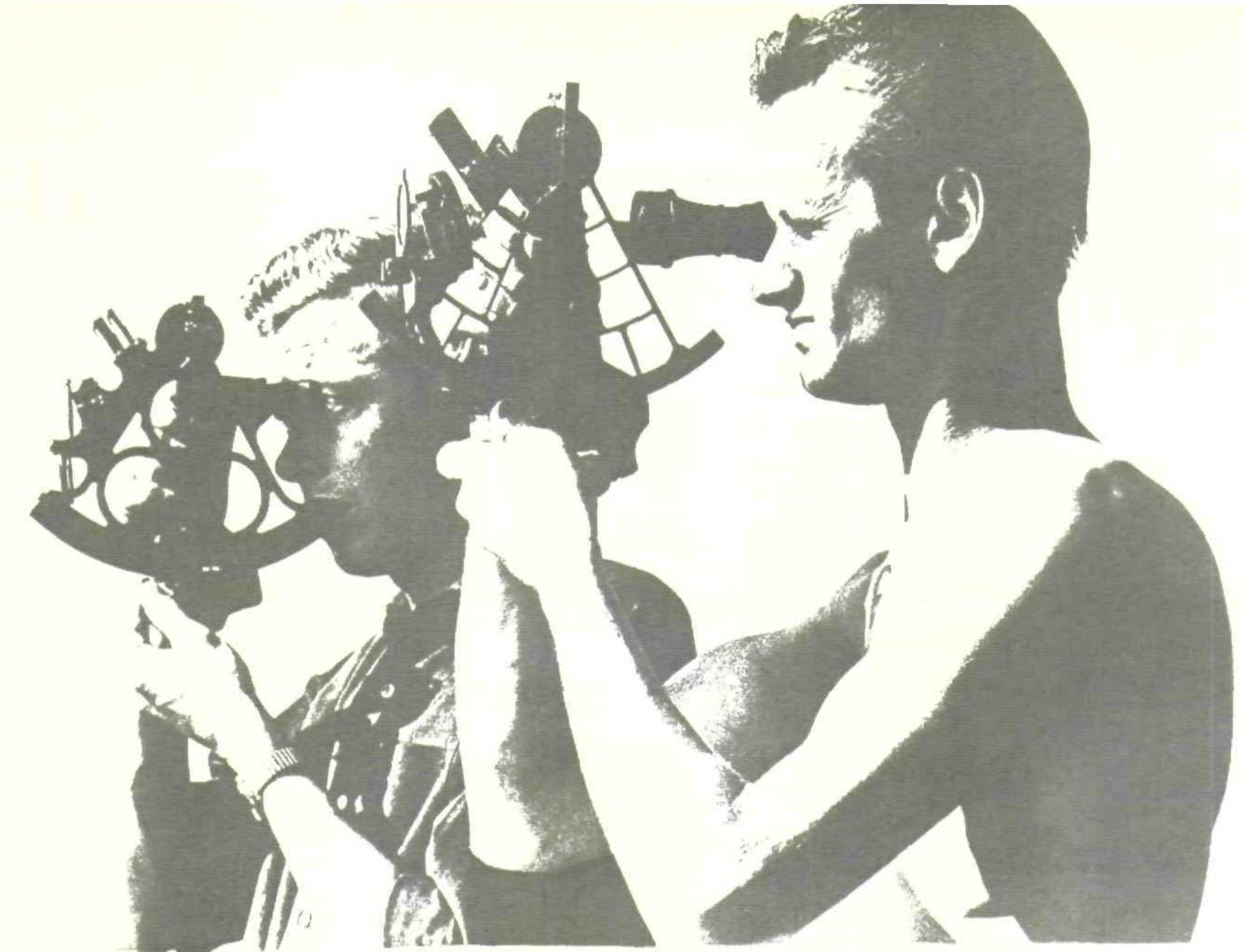
تتصل أذرعة التحميل بصمامات التعبئة في الناقلة ، فتجري عبرها مئات آلاف البراميل من الزيت ، وما هي الا بضع ساعات حتى تكون خزانات الناقلة قد امتلأت بالمنتجات المطلوبة .

منظر ليلي لمرافق التحميل وعدد من الناقلات الراسية في ميناء راس تنورة .

كانت الناقلة « اس اس دي. جي سكونيلد » أول ناقلة للزيت تؤم ميناء رأس تنورة ، وتحمل زيت المملكة العربية السعودية .. وكان ذلك عام ١٩٣٩ .

على الرغم من الاعتماد على الأجهزة الألكترونية الدقيقة في تسيير ناقلات الزيت ، يلجأ البحارة أحيانا الى استخدام الوسائل الملاحية التقليدية .. كالمنظار مثلا .





« آلة السدس » من أهم الآلات التي لا يزال البحارة يعتمدون عليها لمعرفة موقع الناقلة في البحر .

– أثناء تطوير الناقلات – تجميع أجهزة ضبط المحركات والآلات الرئيسية والمساعدة وأجهزة التعبئة والتفريغ في غرفة واحدة للمراقبة . وقد كان لتقدم الأبحاث الألكترونية الفضل الأكبر في تحقيق هذه التطورات . فأجهزة تسجيل المعلومات للتحقق من أداء الآلات لوظائفها ، وأجهزة الاتصال ، ومسجلات الصور والخرائط المناخية ، وأجهزة الرادار ، والآلات الحاسبة ، وغير ذلك من الوسائل الألكترونية ، تجعل من تشغيل الناقلة عبر البحار وبين الموانيء عملية سلسة وسريعة ومأمونـــة .

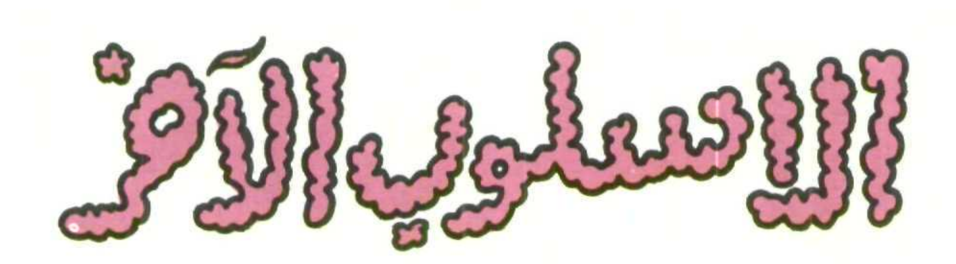
هذا ، ويعمل في الناقلة عدد يتراوح بين ٢٥ و ٦٠ ملاحا ، وتخصص لهم على متنها مرافق للسكنى والترفيه ، ومزاولة بعض الألعاب الرياضية كالسباحة وغيرها ، ويبذل كل جهد ممكن لجعل عملهم على متن الناقلة ممتعا ومنظما ومربحـــا .

بعض التحفظات

يحذر كثيرون من المعنيين بصناعة الزيت من الاتجاه السائد الآن الى تخفيض أجور نقل الزيت باستخدام الناقلات الضخمة ، ذلك لأن هذا الاتجاه سيؤدي الى نقص خطير في وجود الناقلات الصغرى بفعل منافسة الناقلات الكبرى لها . وذكر أحد كبار المسؤولين في شركـــة « موبيل أويل » ان صناعة الزيت قد تصبح أسيرة فكرة تخفيض الأكلاف الى درجة تتعذر معها الرؤيا السليمة للدور الذي يلعبه عامل الزمن في هذا المجال . وأضاف أن تجارة الزيت ستظل تتطلب ناقلات من مختلف الأحجام ، وان المبالغة في التشديد على اقتصاديات الناقلات الضخمة قد تؤدي الى انخفاض أسعار استئجار الناقلات الصغيرة بصورة غير طبيعية ، بحيث يصبح بناء مثل هذه الناقلات استثمارا فاشلا . ولذلك فانه ينبغي أن يشجع أصحاب الناقلات ، أيا كان حجمها ، على تحقيق ربح معقول يمكنهم من تحسين أساطيلهم ، وتأمين خدمات صيانتها وتشغيلها . وذلك ضروري جدا لصناعة الزيت على المدى البعيد .

وقد بلغ عدد الناقلات العملاقة التي طلبت عام ١٩٦٨م ، ١٥١ ناقلة ، وينتظر أن تنضم الى أسطول الناقلات العاملة في وقت لاحق من عام ١٩٧١ . كما ان أحواض بناء السفن آخذة الآن بتكبير حجوم بعض الناقلات الصغيرة نسبيا . بيد أن عددا مـــن الخبراء يشيرون الى أن التحول الى الناقلات التي تبلغ حمولتها نحو نصف مليون طن ربما يتم ، ولكن بحذر كبير . ويرون أن تحقيق ذلك سيكون بتسارع أقل من التحول الى الناقلات التي تتراوح حمولتها بـــين ٢٠٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠٠ طن . ويضيفون أنه اذا اعتبرت مسائل مهمة أخرى ، كعمق مياه البحار ، وأحوال الموانـــيء ، والظروف السياسية المختلفة ، فانه مـــن الممكن بنـــاء ناقلات تصل حمولتها نحو مليون طن ، غير أن فعاليتها وفائدتها الاقتصادية مشكوك فيهما في الوقت الحاضر ■

قصة من الخارج



بقلم الاستاذ محمود سيف الدين الايراني

في ذلك اليوم كانت سماء باريس مرآة قديمة مغبّرة .. في ذلك اليوم ضقت ذرعا بسماء باريس . فقد شعرت أن المدينة كلها أضيق من أن تتسع لإنسان يريد أن يتخلص من السأم بالبحث عن ذاته .

كنت أسير وأسير ، وكنت أحس انني أكره كل ما حولي .. أكره الشجر العالي : عظام معوجّة منصوبة في الطريق . عظام بمفاصل ، بعقد لمخلوقات عاشت قبل التاريخ ، قائمة في كل مكان وتثير في النفس الفزع ! كنت أحسّ أنني أكره هذه النافورة التي تلفظ أنفاسها على قاعدة من بلور ، ولا تني فستظل تنضح سأما وملالا يبدوان وكأنهما لا ينتهيان .

كرهت في ذلك اليوم مقاهي باريس . في عواصم أوروبا لا تجد مثلها أبدا .. في كل خطوة مقهى يبيع القهوة المعصورة ، والابتسام ! لكل شيء في باريس ثمن ..

كنت قد اعتدت أن أضع في جيبي ألف ابتسامة . حسبي أن أمد يدي واستخرج منها ما أريد ، فأضعها فوق شفتي ، وبعد قليل أزيلها ، وأضع أخرى محلها .. أخرى من لون مختلف ، وشكل مختلف ، ومعنى مختلف . وأنظر الى وجهي في مرآة لأرى واستوثق انني نجحت في وضعها على شفتي محكمة ، متقنة ، بارعة .

مقاهي باريس كلها مرايا : جدرانها مرايا ، زواياها وأركانها مرايا ، تريك شخصك من كل جانب . تفضحك في عين نفسك ، وتبرز مساوئك بشكل ساخر .

في ذلك اليوم كنت أرى الناس كلهم قد قضى عليهم السأم ، مثلي . وكان نهر السين يخترق باريس ملولا .. صفحته غبراء تقبض النفس . وقفت طويلا عند جسر اسكندر الثالث . لقد كلّت قدماي .. كنت أريد أن أستريح . ورأيت صورا صغيرة مجنحة ، منحوتة على الرخام .. ربما كانت تروي قصصا كثيرة : شعر من رخام . هل خبرت هذا ؟ كيف يكون الرخام شعرا ؟ في باريس لا تستغرب أي شيء على الاطلاق ! ورحت أتأمل هذا الرخام ، أقرأ هذا الشعر ، استجلي رموزه . ولكن السأم لم يلبث ان عاد الي .

وقلت : « سيأتي المساء .. » حينذاك تتخذ باريس زينتها .. تمتد عقود أنوارها المشعة الوهاجة ، وتصدح الموسيقى الصاخبة من أرجائها .. فتسخر من سأمك ..

ومرّت سفينة نهرية صغيرة « ذبابة » .. يسمونها هناك هكذا ! انها لا تفتأ تنفث دخانها الأسود الكثيف .. سفينة جرباء .. ذبابة ولا ريب .

واستدرت فرأيتها ! كانت تسير متمهلة



خلفي . وكان بيدها حبل ربطت بطرفه كلبها .. امرأة ترتدي ثوبا مخمليا يعلوه معطف قصير ترابيّ اللون . وفي قدميها حذاء قصير العنق . كانت عابسة . امرأة عابسة في باريس ؟! تلك ظاهرة غريبة ! ألقت عليّ نظرة عابرة كتلك التي ألقتها على الصورة المنحوتة ، وعلى حافة الجسر ، وعلى الذبابة التي تمخر مياه نهر السين العكر . وتلبّث كلبها قليلا وراءها ، فالتفتت اليه وانتهرته بنبرة آمرة ، فانقاد لها صاغرا . كان كلبا ما رأيت مثله : كبير ، ضخم ، له عضلات نافرة تتحرك اذا سار ، وفكّان عريضان مروّعان ، تبرق فيهما أنياب راسخة ، مدببة . وابتعدت المرأة ، وبدا لي كأنها خرجت لتوّها من اطواء رواية قديمة « لتشيكوف » . لا أدري أبدا لماذا وثبت هذه الصورة الى خيالي .

وعدت أتسكع ، ونبرتها الآمرة لا تزال تتردد في أذني . وكان « الأنفليد » غير بعيد . وفي مدخله كانت تجثم دبّابة قديمة ، صدئـة ، رازحة . لماذا تراهم وضعوها هناك ؟ أتراها من غنائم الحرب ؟ ما أكثر هذه الغنائم في باحات « الأنفليد » ، وفي دروبه وممراته وحجراته . دبّابة ما عادت هي ومثيلاتها بنافعة . فالأولى اذن أن توضع في المتاحف .. حيث هي .. في « الأنفليد » .

وسرت في اتجاه برج « إيفل » ، تاركا ورائي

« الأنفليد » ، و « الكونكورد » ، وساحة النجمة ، وقوس النصر ، والأشجار العارية .. تركت لقدميّ أن تقوداني ..

ومضيت الى مقهى « ملغاش » . كانت مراياها المغبرة قد انفثأت رذاذا . وقلت : سأشرب في ملغاش شايا ساخنا في ركن هادىء . . بعيد عن الناس . ودخلت المقهى . وكانت المطربة « اديث بياف » تغني بصوتها القوي الرنّان من أسطوانة دائرة في صندوق زجاجي . كانت تقول انها ما عادت تهتم لشيء .. الذكريات قد أعملت بها مكنستها : « لا شيء .. لا شيء ! » عاد صوتها الرنان يملأ ملغاش : « لا شيء .. لا الحب ، ولا الذكريات .. لا شيء ، لا شيء ! » .

وبين خليط الموجودين كانت المرأة ، ومعها كلبها . تقف هناك في زاوية بجانب الآلة الحاكية . وكانت تصاحب الأغنية بضربات خفيفة من قدمها . وساءلت نفسي : « لماذا تراها خرجت من تضاعيف تلك الرواية القديمة ؟ » وسرت نحوها .. مطمئنا ، واثقا ، كأني أعرفها منذ أمد طويل . واقتربت منها ، وقلت وكأنني أواصل حديثا انقطع منذ برهة :

— لماذا خرجت هكذا يا سيدتي ؟

التفتت إليّ عابسة :

— ماذا تقول أيها السيد ؟
— أقول .. لماذا خرجت هكذا ؟
— أهذه عادتك ؟ تخاطب من لا تعرف .
— ولكني أعرفك .
— تعرفني ؟
— أجل . وجدتك عند « تشيكوف » ذات يوم !
— انك تهزأ بي أيها السيد !
— أنت احدى بناته ..

وضحكت طويلا ، وتطلع اليها كلبها الرابض عند قدميها . واسترقت هي أنفاسها ، ونادت كلبها : « فيدل .. فيدل » وانتصب الكلب ، وكشر عن أنيابه ، وارتعدت أنا خوفا وقلت :

— لا يا سيدتي .. هذا لا يليق !

فقالت :

— لا تخف . لا شك انك ..

وعادت تضحك ، فقلت :

— لا .. لست مجنونا كما تحسبين !.. هل لك بفنجان شاي يا سيدتي ؟

وصعّدت في نظرها من أخمص قدمي حتى قمة رأسي ، وقالت :

— أجل .. فأنت أثرت فضولي حقا !

وجلسنا ، وربض كلبها قريبا منها . ورحت أرشف الشاي متمهلا .. وقلت :

— تشيكوف .. ربما تعرفينه ؟

قالت :

— وشاهدت أخيرا مسرحيته « حديقة الكرز » في مسرح « الأديون » ..
— وأنا أيضا شاهدتها قبل أيام .
— لماذا تراك حسبتني احدى بناته .. بنات رواياته بالطبع ؟
— لا أدري . ذلك من أوهام النفس . ربما كان السبب أنني شاهدت أيضا تمثيليته « النورسة » وتمثيليته الأخرى « الخال فانيا ». قولي هل أنت معلمة مدرسة ؟
— ولماذا أكون معلمة ؟
— لهجتك الآمرة أيتها السيدة . هذا الكلب الضخم يرتعد فرقا من نبرتك . اذا لم تكوني معلمة فأنت سيدة قاسية القلب ولا ريب !
— قاسية القلب ؟
— هذا العبوس .. وهذه النظرة الصارمة !
— عادة .. مجرد عادة .
— أتدرين أن السأم كان يفترسني اليوم ؟
— وحيد ؟ أعني .. هل تعيش وحدك في باريس ؟
— من الصعب أن يكون الانسان وحيدا هنا !
— سر .. تنزه .. اقرأ .. افعل ما بدا لك .
— ثمة أوقات لا ينفع فيها هذا كله .
— هذا شأن العواصم الكبيرة .
— يشعر الناس فيها بالضياع .. أليس كذلك ؟
— يظهر انك تعيش في كتبك !
— لا .. فالقصصيون هم الذين يضعون الناس في قصصهم .
— وأنت .. واحد منهم ؟
— ربما أكون واحدا منهم .
— وستضعني في قصة ؟
— وسأضع الكلب أيضا . تصوري هذا .. أنت وفيدل !
— ولِمَ ؟
— يخيل إليّ انه لا يفارقك أبدا .
— طبعا .. ولكن ، ألا تضع معنا زوجي أيضا ؟
— زوجك ؟! ألك زوج ؟
— وسيأتي قريبا .. موعدنا هنا .
— وماذا يفعل زوجك ؟
— يعمل في آليّات التلفزيون .
— وتلتقيان هنا ؟
— نعـم .

وجاء زوجها . كان نقيضها في كل شيء . كان ضئيلا ، أعجف العود . وأومأت له أن يجلس . كان فيه شيء واحد حيّ : لسانه . تحدث كثيرا . وكان لا ينفك يضرب بكفه على كتفي ويضحك ، بل يقهقه . وعلى حين غرة زجرته بكلمة واحدة فقط : « أسكت » . وسكت الرجل منقادا . ثم نهض لحاجة ، وابتعد . وقلت لها :

— أتدرين ؟ أنا لا يمكن أن أسكت .. لن أسكت أبدا !

فقالت :

— أنت أمرك مختلف .. من طراز آخر . علمت ذلك من اللحظة الأولى .

وراحت تتأمل أصابع يديها .. أصابع مستطيلة ، دقيقة . وابتسمتْ . . كانت ابتسامتها من عينيها الزمردتين . ابتسامة خفيفة ناعمة . قلت :

— أتعلمين ؟ أنا أحب أن أراك تبكين .
— لمـاذا ؟
— لأني لا أريد أن أكون مثلهما .. زوجك و « فيدل ! »
— قلت انك رجل مختلف .. من طراز آخر .
— ولذلك فلي عندك أسلوب آخـر .. أليس كذلك ؟

وعادت تتأمل أصابع يديها المستطيلة ، الدقيقة . وابتسمت عيناها من جديد . وأحسست أنا أن ابتسامتها كانت ملساء ناعمة ، توشك أن تندس في صدري . وقلت بصوت أبحّ وأنا أنهض متثاقلا :

— ستكونين معهما فقط .. في الصورة ، أعني في القصة !

قالت :

— أتهرب ، أيها الجبان ؟

قلت :

— بل أنجو من الأسلوب الآخر .
— والسأم الذي يفترسك ؟
— أجهزت عليه أنت !

وسرت خطوات .. وسمعتها تسألني من بعيد :

— وماذا سيكون اسم تلك القصة ؟

وأجبتها وأنا ألوّح بيدي :

— أوه .. سنرى ، سنرى !

وأتى إليّ صوتها وأنا أغذ السير :

— ستجدني هنا غدا ..

ولكني مضيت .. مضيت دون أن ألتفت■



للدكتور زكي المحاسني

حيّ البداة فمنهم كان مَبْدانا ... همو مثال النّدى شيبا وشبّانا

من الرمال أتتك العرب حافلة ... تُنمى لعدنان تارات وقحطانا

يا ويح للرمل في رمضاء جاحمه ... والشمس تغلي ويَهمي الجوّ نيرانا

كم ضائع فيه هدّ الزّحفُ رَكبتَه ... ومستجير هجيرا نال خسرانا

لا بأس بالموت مبتلاّ بلا عطش ... والرّوح تنزح كي ترتاد غدرانا

وفي السراب لظمأى الحتف لامعةٌ ... تغري بموردها غرثانَ ظمآنا

الجسم كالأرض ان لم ترو غُلّتَه ... بالماء جفّ جديب الجلد أسوانا

* * *

عرفت دارة رمل لا أنيس بها ... لكن يد الخير مسّت عطفها آنا

فرفرف الغصن في مهجور أبطحها ... فصار منزلها رَوْحا وريحانا

بالعلم سادت قوى الانسان وابتدرت ... خلد الوجود فصار الرمل بستانا

ما لي وللرمل قد أصبحت أنشده ... أشاقني فيه ما كابدت أحيانا

ولست أنساه مهما تأت رائعة ... من الحضارة تضحي القفر ملآنا

من مطلع الشمس قومي كان منبتهم ... لم يعرفوا في صراع الدّهر كفرانا

وكان ايمانهم ضمّانَ نصرهمو ... لا يدرك النّصر ان لم يُلْفِ ايمانا

وللجواد صهيل عند طَحْمَتِه ... يكبو وينهض لا ينفعك معوانا

* * *

العُرْب كالبيد من يقحم مفاوزها ... يضعْ بها ويلاق الحتف عطشانا

بقلم الاستاذ سامي لبان

مشروع الري والصرف

في واحة الأحساء

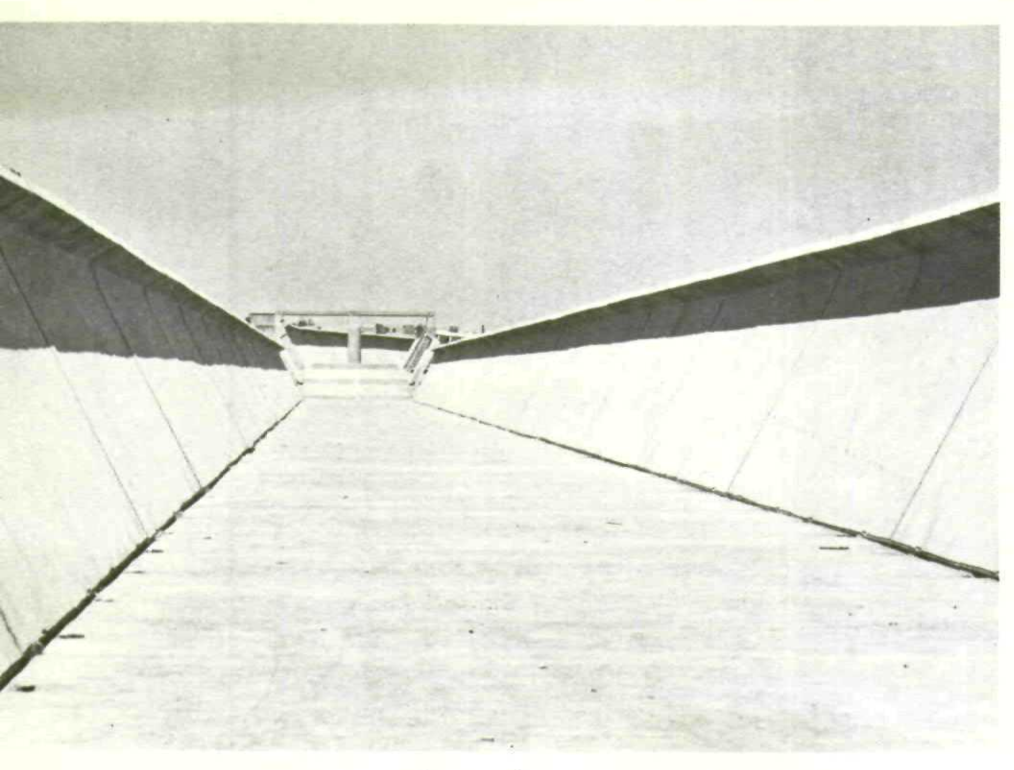


احدى قنوات الري الرئيسية وقد اخترقت بساتين النخيل ضمن مشروع الري والصرف في واحة الاحساء .

الاحساء كلمة معناها أرض مستنقع غمرتها الرمال . ويقول البعض انها الأرض الرطبة المنخفضة ، ويقول آخرون انها الأرض الرملية التي يوجد تحتها طبقة صلبة تحفظ ماء المطر لمدة طويلة بحيث يمكن الوصول اليه بسهولة بالحفر الى عمق بسيط . وينطبق هذا الوصف على جزء كبير من واحة الاحساء الواقعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية والتي تعد من أكبر واحاتها ، اذ تبلغ المساحة التي يمكن استصلاحها للزراعة منها حوالي ٥٠٠٠٠ فدان .

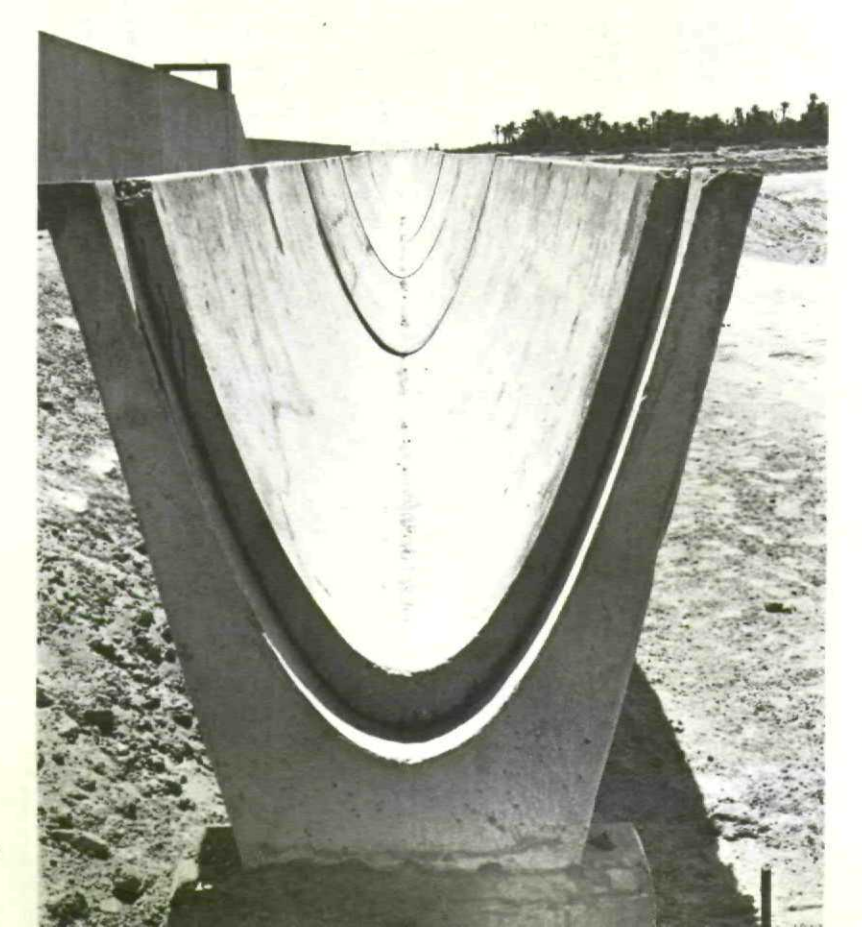
وقد فصلت المدن والقرى وكثبان الرمال الأراضي الزراعية في هذه الواحة الى عدة أجزاء ، أكبرها مساحة القسم الشرقي الذي تبلغ مساحته حوالي ٢٥٠٠٠ فدان ، وتحيط به عدة قرى ومناطق أهمها : قرى ، البطالية ، الحليلة ، الحوطة ، الرميلة ، المركز ، الطرف ، الفضول والمنيزلة ، ومنطقة عين الخدود . ويلي هذا القسم من حيث كبر المساحة القسم الشمالي من الواحة ، وتبلغ مساحته حوالي ١٥٠٠٠ فدان ، وتقع فيه عدة قرى ، أهمها : المطيرفي ، وجليجلة ، والشعبة ، ومنطقة عين « أم سبعة » .

تمتاز واحة الاحساء بكثرة عيونها ، اذ يبلغ عدد المشهور منها نحو ستين عينا . وأغزر هذه العيون عين « أم سبعة » في الشمال ، و « الخدود » ، و « الحقل » ، و « البرابر » شرقي مدينة الهفوف ، و « الحارة » شمالي مدينة « المبرز » . ويجري ماء هذه العيون ليل نهار . وقد تسبب هذا الجريان المتواصل في ظهور مشكلات زراعية كثيرة ، اذ كانت المياه المتدفقة أكثر بكثير مما تحتاجه الأراضي المزروعة ، وكان لا بد من التخلص من هذه المياه الزائدة حتى تحافظ التربة على قدرتها الانتاجية . ولم تكن المصارف البدائية لتستوعب هذه المياه ، وتحملها خارج الأراضي المزروعة . ولهذا بدأت المياه تتجمع في التربة ، وبدأ منسوبها يقترب من الطبقة العليا ، حتى وصل الى بعد قدم واحد من سطح التربة ، بل الى سطحها في بعض الأماكن . واذا علمنا بأن النباتات تعتمد على الغذاء والهواء الموجودين في التربة ، وان جذور أكثر النباتات لا تستطيع الحصول على هذا الغذاء وهذا الهواء من التربة المشبعة بالماء ، أدركنا الضرر الكبير الذي يلحق بالمزروعات نتيجة ارتفاع منسوب المياه الى الطبقات القريبة من سطح التربة . والحقيقة ان ارتفاع منسوب المياه في التربة قد أثر تأثيرا كبيرا على



قناة رئيسية للري يبلغ عرضها من الأعلى ١٥ مترا ، وعمقها ١,٨٥ من المتر ، ويبلغ طول ما سيستعمله المشروع منها نحو ٣٧,٥ كيلومترا .

نوع آخر من أقنية الري الفرعية المستعملة في المشروع ، وسيبلغ طول ما يستعمل منها بحوالي ٢٤٦ كيلومترا .





حفارة خنادق أثناء حفرها قناة صرف فرعية ضمن مشروع الري والصرف في واحة الاحساء .

المزروعات في واحة الاحساء ، وكان من نتائج ذلك انخفاض كمية الانتاج وجودته في أماكن كثيرة من الواحة .

ولم يقتصر ضرر المياه الزائدة عن حاجة التربة على النباتات ، بل تعداها الى التربة نفسها ، اذ جعلت المياه الزائدة مساحات واسعة منها غير صالحة للزراعة بسبب زيادة نسبة تبخر الماء منها لقربه من السطح ولحرارة الجو المرتفعة ، الأمر الذي ركز كميات كبيرة من الأملاح في التربة ، وخاصة على السطح ، وفي منطقة الجذور . واذا علمنا بأن هذه الأملاح تعيق عملية امتصاص الماء بواسطة الجذور ، وتسبب بعض التسمم للنباتات ، وانها تتلف كتل ذرات التربة ، وتخفض معدل نفاذ الماء الى داخلها ، أدركنا الضرر الذي تلحقه هذه الأملاح بالمزروعات .

والذين عاشوا في واحة الاحساء خلال العشرين سنة الماضية يعلمون كيف انحسرت الرقعة المزروعة خلال هذه الأعوام العشرين ، فبعد ان كانت المساحة الصالحة للزراعة تزيد على العشرين ألف فدان ، أصبحت لا تزيد الآن على خمسة عشر ألف فدان . وقد نتج عن هذا النقص في مساحات الأرض الصالحة للزراعة ، وفي انخفاض القدرة الانتاجية للتربة ، وما تبعه من انخفاض في كمية الانتاج ، وتدني جودته ، ان انخفض دخل الفرد من الزراعة ، مما كان له الأثر العميق في مستوى معيشة المزارعين . ناهيك عن ان أحوال الصرف السيئة قد ساعدت في وجود المستنقعات المضرة .

وكان لا بد من ايجاد علاج سريع حاسم لهذه الحالة التي ان أهملت تفاقم ضررها وقضت على أكثر المزارع في الواحة . وأتى العلاج بشكل مشروع للري والصرف تبنته وزارة الزراعة ، وتقوم به احدى كبريات الشركات الهندسية في ألمانيا . وقد بدأت الشركة في تنفيذ المشروع في مطلع عام ١٩٦٧ ويؤمل أن تتم أعمالها فيه في مطلع عام ١٩٧٢ ، حيث يوكل أمر ادارته وصيانته الى شركة أخرى لديها خبرة وافية بهذا الشأن .

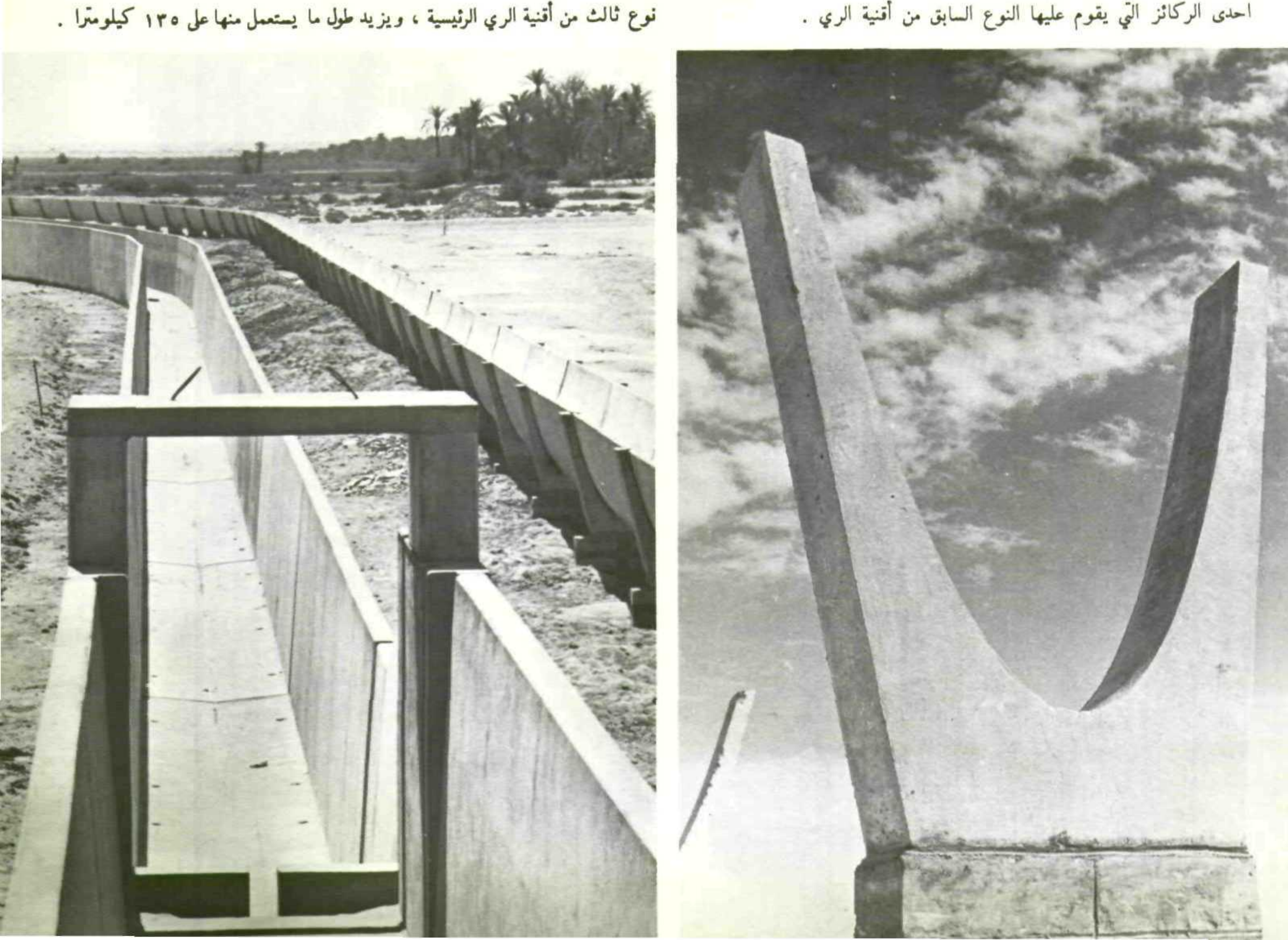
والمشروع يتلخص في انشاء شبكة قنوات للري وأخرى للصرف . وتتكون قنوات الري من قنوات رئيسية يبلغ عرضها مترا وعمقها مترا ، وقنوات فرعية مرتفعة الى مستوى المزارع ، يصل الماء اليها من القنوات الرئيسية . وتضمن قنوات الري وصول المياه الى جميع المزارع في الواحة ، وتزويد كل مزرعة بما تحتاجه من مياه مجانا . وسيساعد انشاء شبكة الري على السيطرة على مياه العيون والآبار ، وزيادة المساحة التي يمكن سقايتها من خمسة عشر ألف فدان الى حوالي خمسين ألف فدان كما سيساعد على حفظ الثروة المائية ، وتنظيم عملية توزيع المياه ، بحيث يستفيد منها جميع المزارعين دونما تمييز بالاضافة الى أنه سيحد من تفاقم عملية الصرف ، وما يتبعها من زيادة في الأملاح واضعاف التربة وانخفاض الانتاج .

أما انشاء قنوات الصرف فسيساعد على تصريف الماء الزائد عن حاجة التربة ، الأمر الذي سيؤدي الى انخفاض مستوى المياه الجوفية الى عمق حوالي متر ونصف المتر تحت سطح التربة ، وبالتالي تقل نسبة الأملاح في التربة وتزداد المساحة الصالحة للزراعة ، بالاضافة الى القضاء على المستنقعات التي تسبب انتشار الأمراض .

وبالاضافة الى ذلك ينتج عن المشروع غسل نسبة كبيرة من الأملاح في التربة ، مما يساعد على خفض نسبة الملوحة من ستة آلاف جزء في المليون الى حوالي ألف وأربعمائة جزء فقط ، الأمر الذي يسمح بزراعة أصناف متعددة من المحاصيل الزراعية التي لا يمكن زراعتها في الوقت الحاضر بسبب ارتفاع نسبة الملوحة ، كما أن غسل الأملاح سيزيد من انتاج المزروعات الموجودة حاليا ، ويساعد على ادخال زراعات حديثة على المنطقة ، كزراعة الحمضيات بشكل تجاري ، وزراعة بعض المحاصيل الصناعية ، مثل القطن ، ودوار الشمس ، والشمندر السكري ، والسمسم ، التي توفر المادة الخام لصناعات عديدة .

واذا تحدثنا عن المشروع بلغة الأرقام نلاحظ ما يلي :

- يبلغ طول شبكة قنوات الري حوالي ١٥٠٠ كيلومتر .
- يبلغ طول قنوات الصرف حوالي ١٦٠٠ كيلومتر .
- يستهلك المشروع كمية من الخرسانة يزيد حجمها على نصف مليون متر مكعب .
- تقدر الحفريات التي يتطلبها المشروع بحوالي سبعة ملايين متر مكعب .
- يحتاج المشروع الى كمية من الاسمنت تقدر بنحو ربع مليون طن تنتجها المصانع المحلية ، وكمية من قضبان الحديد يبلغ وزنها ١٠٠٠٠ طن .
- نتج عن المشروع بناء مصنع برأس مال مقداره نحو عشرة ملايين ريال لصنع أقنية المياه من الخرسانة المسلحة بأشكال وأحجام مختلفة .
- بلغت قيمة المواد واللوازم التي ابتيعت للمشروع من الأسواق المحلية خلال عام ١٩٦٧ نحو عشرة ملايين ريال .
- تقدر المبالغ التي يقدمها المشروع بدل رواتب للموظفين والعمال ومصاريف أخرى نثرية بحوالي مليون ونصف المليون من الريالات شهريا .
- يؤمن المشروع في الوقت الحاضر العمل لألفين ومائتي موظف وعامل ، بينهم حوالي ألفين من السعوديين .
- تبلغ تكاليف المشروع حوالي ٢٠٨ ملايين ريال ، وقد أنجز منه حتى الآن ثلثه تقريبا■



احدى الركائز التي يقوم عليها النوع السابق من أقنية الري .

نوع ثالث من أقنية الري الرئيسية ، ويزيد طول ما يستعمل منها على ١٣٥ كيلومترا .

كتاب الشهر

أعلام العرب

٧٦

صقر قريش

عبد الرحمن الداخل



تأليف : الأستاذ عبادة كحيلة

عرض وتعليق : الأستاذ أبو طالب زيان

لا ترجع أهمية هذا الكتاب ، الى أنه جاء في أعقاب كتب ثلاثة عن صقر قريش ، لثلاثة مؤلفين ، اجتذبهم عبد الرحمن الداخل ، أو شدوا اليه ، وهم : علي أدهم تاريخيا ، وكرم ملحم كرم روائيا ، ومحمود تيمور قصصيا .. ولكنها تعود الى أن هذا الكتاب الذي صدر ضمن سلسلة « أعلام العرب » لمؤلفه الأستاذ عبادة كحيلة يعد نسيج وحده من حيث الترجمة الأدبية والرؤية والتفاصيل ، لا سيما وان صاحبه يدفع الى المطبعة بأول كتاب له في هذا الميدان الفسيح .

ولقد اتضح لي من الموازنة والدراسة أن المؤلف لم يأخذ من المادة التاريخية الا ما يخدم عمله الأدبي ، الذي تبلورت على تفاعلاته العناصر الدرامية وعناصر الصراع التي تتولد عنها الشخصيات والعقد والأحداث التي ألفت هذا البناء المتسق الذي يصح أن يكون عملا روائيا أكثر منه عملا تاريخيا . غير أن هذا لم يمنع المؤلف من أن ينقب في بطون كتب التاريخ يستخرج منها الأخبار الصحيحة ، ويناقش الروايات معتمدا أرجحها . وهذا ما جعله يرجع في هذه الترجمة الى نيف وأربعين كتابا .

وعندي أن الأستاذ عبادة قد تأثر في دراسته لعبد الرحمن الداخل بالمدارس الثلاث التي قام على رأسها : هيكل من وجهة النظر التاريخية ، وطه حسين من وجهة النظر الاجتماعية ، والعقاد من وجهة النظر النفسية .. فضلا عن تأثره الواضح في هذه الدراسة بالمنهج الروائي عند « أندريه موروا » و « استيفان زفاييج » .

على أن المؤلف قد اتضح بكله في الخطين اللذين تطعم بهما في دراساته وتكوين نهجه ، حتى في بحوثه الكثيرة التي أودعها أكثر الدوريات وكبريات المجلات . والواقع أن أقل نظر مستأن لفصول كتاب « صقر قريش » يبرز على أبعاده

هذان الخطان ، وان غلب الخط العام على الخط الذاتي في بعض فصول الكتاب ، لا سيما عندما يتعرض لتطور الأحداث في بلاد الأندلس قبل دخول صقر قريش اليها .

والنقاط الهامة في هذه الدراسة كثيرة ، وأبرزها يبدو في الدفاع ، والتحليل ، والتفرد ، وتكوين الرأي ، والاجابة إن عن سؤال أو بدا تساؤل. وجمال العرض وقوة الدفاع يجعلان لهذه النقاط أهميتها ، وخاصة بعد ما سيطرت مسلماتها على الافهام هذا الزمان الطويل الذي غبر على تاريخ البطل ، ولم يجد من يدرأ عنه التهم التي كانت تلصق به ، أو يدفع عنه الشين الذي كان يرمي به .

وهناك نقطتان هامتان في حياة بطل الأندلس الذي لعب هذا الدور الخطير في تاريخ العرب . أولاهما شدته التي عرف بها ، بل صارت علامة مميزة من علامات الفتوح أو الغزو أو اخماد الثورات . واذا حمد التجاوز في سير بعض الأبطال عن هذه الصفة ، فلا يحمد اغفالها في حياة « الداخل » الذي ظهر متطرفا فيها ببعض التطرف فيما يخضعه من بلاد .

أما النقطة الثانية فتنحصر في النهاية الدرامية التي غلبت على « الداخل » وهو في فراشه وبين يدي أبنائه .

وقد نظر المؤلف الى النقطة الأولى نظرة تحليلية ، ووقف منها موقف المدافع ، فارجع ظاهرة العنف ، التي اتسم بها الداخل ، الى الضرورة الحتمية التي فرضتها ظروف العصر الذي كان يعيش فيه ، وانه لولا اتسامه وعرفانه بها لفشل فيما أتى به ولما استتب له الأمر ولتعددت أمامه مشكلات الأحداث .

ويرجع نهايته ، وهو في أوج سلطانه ، الى الأسلوب الذي اتبعه من أجل التمكين لنفسه ، فقضى وحيدا لا يقف الى جواره أحد من أصدقائه السابقين .

والمستعرض للفصلين الأولين من الكتاب ، يرى نشأة عبد الرحمن ويعرف صباه ، وهي فترة تمتد من أواسط عهد هشام بن عبد الملك حتى حركة القضاء على بني أمية ، وانتهت بفتوحات عبد الرحمن واستقراره بالمغرب .

ويمضي المؤلف في الفصلين الثالث والرابع مؤرخا لشبه الجزيرة الاسبانية منذ أقدم عصورها حتى فتح العرب لها في أوائل القرن الثامن الميلادي . ثم يورد تاريخ عصر الولاة ، وما جرى ابانه من فتوحات في جنوب فرنسة ، وما توزع من فتن بين الفاتحين أنفسهم داخل جزيرتهم .

وفي الفصل الخامس ، يبرز الدور التاريخي لصقر قريش ، حين عبر البحر ودخل الأندلس مستعينا باليمانية في حربه مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري وانتصاره عليه في وقعة المسارة عام ١٣٨ من الهجرة .

غير أن السكينة لم تلف الفاتح بعد انتصاراته ، وكان الأمر على غير ما يود « الداخل » . فالصراعات التي تبدأ بتوطيد الملك ، أعنف من الصراعات التي تكتنف الغزو والفتح . فلم يكد « الداخل » يرسم خيوط سياسته ، حتى كان الصراع على أشده مع القيسية ، واليمنية ، والشامية ، والحجازية ، والبربر ، والخلافة العباسية نفسها . فكان من الطبيعي أن يتجه « الداخل » الى اخماد الفتنة تلو الفتنة والقضاء على الطامعين والناقمين .

وأغلب الظن أن المؤلف قد هالته هذه الفتن وأوقفته هذه الأحداث ، فأخذ يحصيها عدا ، ويتعقب حوادثها في فصلي الكتاب السادس والسابع ، لا سيما تلك التي قامت على أيدي العلاء بن مغيث ، والفاطمي ، وشارلمان .

وفي فصل الكتاب الثامن تتشابك الأحداث وتتعقد الأمور أمام « الداخل » ، فيقف ليرى بعينه بعض الأبطال يتنقل من معسكر الى معسكر آخر حسبما تقتضي النوازع والمصالح والأغراض . ويعيش « الداخل » في هذا الليل الطويل الى أن يقضي على جيش شارلمان ، فيستعيد سيطرته على البلاد ، ويتمكن من اخماد الفتنة التي أفرخت في الشمال .

ويؤرخ المؤلف في الفصل التاسع لحياة بطله بعد إخماده تلك الفتن ، كما أملاها الواقع ، وان لم يفته فيها أن يؤرخ للثورات التي تعرض لها الداخل من أقربائه وأصدقائه ، والتي هدأ أوارها وانطفأ لهيبها بموت عبد الرحمن نفسه في عام ١٧٢هـ .

والجدة التي أوجدت البحث ، وأحاطت به من كل جوانبه هي تحليل شخصية صقر قريش تحليلا حيا ، بعيدا عن كل المؤثرات التي تحيط بكل بطل بمنزلة عبد الرحمن الداخل من القيادة والرشاد . فالحزم والشجاعة والدهاء ، وهي الصفات التي لابستها شخصية عبد الرحمن في عصر كعصره ، مضافا اليها الدين والتقوى والتسامح والرحمة وصلة ذوي القربى والأصدقاء .. كلها لما تعطيه صفات القائد ، وترجح كفته هو ، الفاتح الغريب الدار ، على كثير من الغرماء والشانئين والأعداء .

وقد ألمت هذه الدراسة على وجازتها في بابها العاشر ، بسيرة بطل الأندلس كلها شاعرا ، وفنانا ، وحافظا لتراث الأمة الاسلامية ، وحاميا للحضارة العربية .

وبعد .. فلعلي لا أختلف مع الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، الذي قدم هذا الكتاب ، في « أن يجعل الأستاذ عبادة كحيلة من هذا الميدان العربي الاسلامي القليل الطراق مجالا لجهوده التاريخية الموفقة » ■

الحركة الأدبية في العالم العربي

* أصدر المؤرخ الكبير الدكتور فيليب حتي كتابا جليلا باللغة الانكليزية عنوانه «صانعو التاريخ»، ترجم فيه للرسول الكريم ، ثم تناول عمر بن الخطاب ، ومعاوية ، وعبد الرحمن الداخل ، والمأمون وعبيد الله المهدي ، وصلاح الدين الأيوبي ، والغزالي ، والامام الشافعي ، والكندي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن خلدون .

* وثمة كتب أخرى تناولت تراجم الأعلام منها « خالد بن الوليد » للدكتور جمال الدين الرمادي ، و « المعرفة عند الحكيم الترمذي » للأستاذ عبد المحسن الحسيني ، و « ابن سناء الملك — حياته وشعره » للأستاذ محمد ابراهيم نصر ، و « محي الدين ابن عربي » للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني .

* تصدر في بيروت قريبا طبعة جديدة مراجعة ومصورة من المعجم الكبير الذي صنفه الأمير الراحل مصطفى الشهابي بعنوان « معجم الألفاظ الزراعية » . هذا وقد أصدر الدكتور مأمون الحموي معجما كبيرا بالانكليزية والعربية يضم « مصطلحات العلاقات الدولية والسياسية » .

* أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة جزءا عاشرا من « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع » ، ومن ضمن فصول هذا الجزء مصطلحات في الجيولوجيا ، والبترول ، والتاريخ ، والفلسفة ، والطب ، والحضارة ، وغير ذلك .

* من كتب التراث التي أخرجت أخيرا كتاب نفيس عنوانه « بلاد العرب » ، يقع في نحو ٥٠٠ صفحة ، وهو للحسن بن عبد الله الأصفهاني ، وقد أشرف على تحقيقه وشرحه وضبطه العلامة الكبير الأستاذ حمد الجاسر ، بالاشتراك مع الدكتور صالح أحمد العلي . وصدر في ليبيا كتاب « مبتكرات اللآلىء والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر » للشيخ عبد الرحمن البوصيري ، وقد حققه الشيخ سليمان محمد الزوبي والأستاذ الهادي بن عرفة . وصدر « طيف الخيال » للمرتضى من تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، و « ديوان عنترة بن شداد » من تحقيق الأستاذ فوزي عطوي .

* من الكتب النفيسة التي صدرت أخيرا كتاب « دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام » ، وهو يضم طائفة كبيرة من الدراسات الدينية واللغوية كتبها أعلام المفكرين في ربوع العالم الاسلامي ، مثل الأساتذة محمد فريد وجدي ، وعبد المجيد سليم ، ومحمد تقي القمي ، ومحمد جواد مغنية ، ومحي الدين القليبي ، وأحمد أمين ، ومحمود شلتوت ، وعباس حسن ، وعلي الجندي ، ومحمد عبد الله دراز وغيرهم . وقد جمع فرائد هذه الفصول وقدم لها الأستاذ محمد محمد المدني .

* صدر الجزءان الأول والثاني من ديوان الشاعر العراقي الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري بعنوان « ديوان الجواهري » . كما صدر في بغداد الديوان الأول للشاعر الرقيق الأستاذ حازم سعيد أحمد بعنوان « صوت من الحياة » .

* وثمة دواوين أخرى صدرت منها « نهر الشعاع » للأستاذ أحمد علي حسن ، و « سنوات الحزن » للأستاذ روبير غانم ، و « أغان على جدار جليدي » للأستاذ محمد عمران ، و « الوجه الذي لا يغيب » للأستاذ نزيه أبو عفش .

* كتاب « الفن الاسلامي » لجورج مارسيه ظهرت ترجمة عربية له بقلم الدكتور عفيف بهنسي راجعها الأستاذ عدنان البني .

* « الموت واللغة » عنوان كتاب جديد للأب يوسف سعيد ضمنه خواطره وتأملاته بعيد وفاة صديقه الحميم الأديب رئيف خوري .

ومن كتب الخواطر التأملية الذكية كتاب « شموع على الطريق » للأديب المغربي الأستاذ محمد الصباغ .

* أصدر الدكتور عبد الحي دياب كتابا عن « التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد » تناول فيه بالدرس المحاولات النقدية المبكرة التي كثيرا ما أهملها دارسو الأدب مع أن أقطابها كتاب بارزون مثل المرصفي والمويلحي والرافعي وأحمد ضيف وخليل مطران وطه حسين .

* ومن الدراسات الأدبية الجديدة « رحلة الأدب العربي الى أوربا » للأستاذ محمد مفيد الشوباشي ، و « الدراما الاغريقية » للدكتور ابراهيم سكر ، و « مقال في الشعر العراقي الحديث » للأستاذ عبد الجبار داود البصري .

* طائفة من الكتب الروائية صدرت مؤخرا منها رواية « كولومبا » لبروسبير ماريميه وقد ترجمها الأستاذ فوزي عطوي ، ورواية « التوت المر » للأستاذ محمد العروسي المطوى ، ومجموعة «الطواحين الثلاث وقصص واقعية أخرى » للأستاذ فتوح هب الريح ، و « الهارب » للأستاذ شاكر جابر . وفي الوقت عينه أصدر الأستاذ محمد يوسف المحجوب رواية للأطفال عنوانها « جزاء الفيل » استقى مادتها من كتاب كليلة ودمنة ، وأدخل عليها جديدا في الحوار والأناشيد ليزيدها تشويقا .

* ترجمت الدكتورة نازلي اسماعيل حسين كتاب الفيلسوف الالماني ايمانويل كانت الموسوم « مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ، يمكن أن تصير علما » ، وراجع الترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي .

* في التربية وعلم النفس صدر كتابان هما « مشكلات الآباء والأمهات » للدكتور بنجامين سبوك وترجمة الدكتور محمد علي العريان ، و « التفاؤل والتشاؤم » للأستاذ نجيب يوسف بدوي .

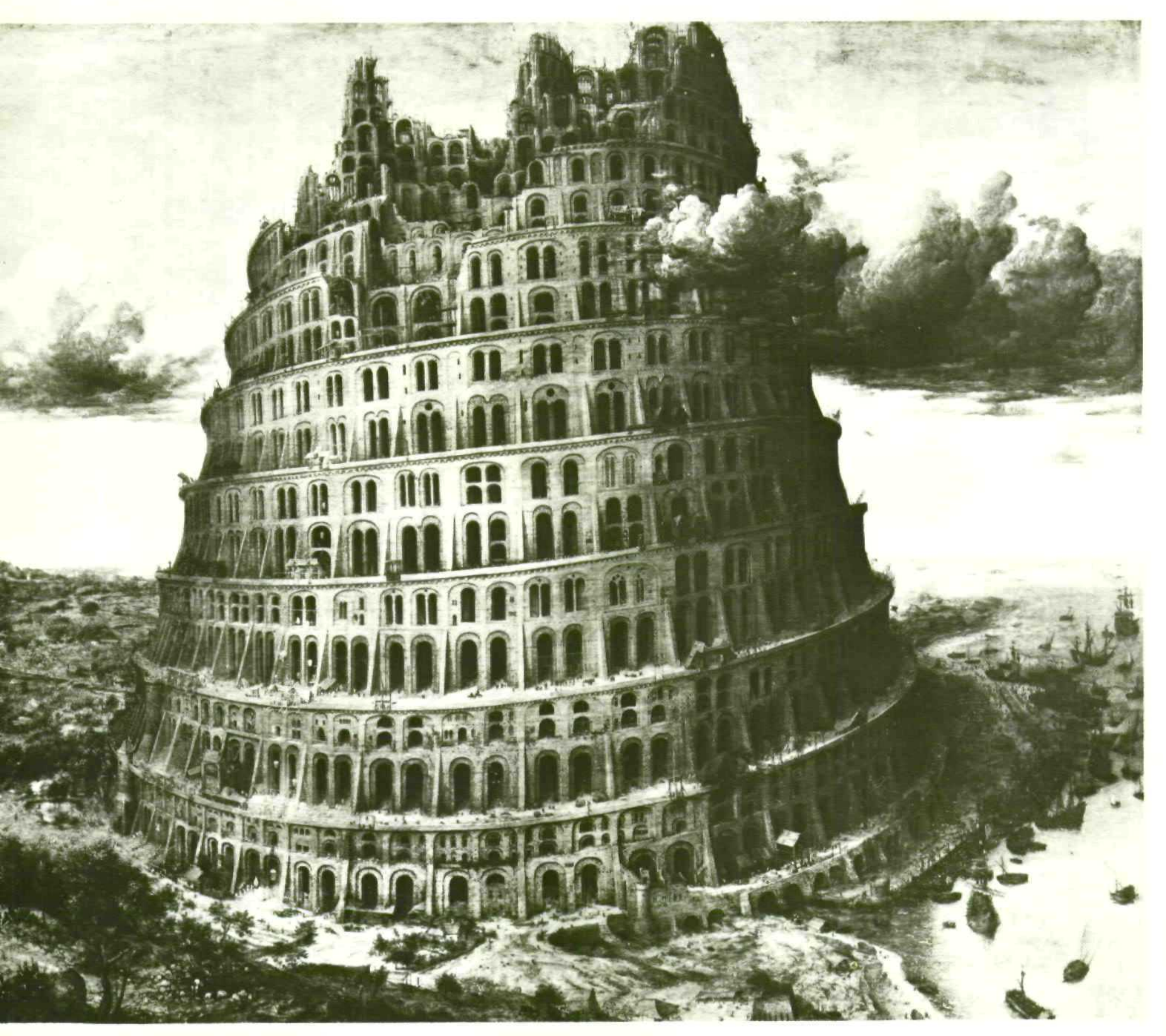
* « أبطال وأمجاد » عنوان كتاب في تاريخ مدينة حمص سنة ١٩٢٥ ألفه بأسلوبه الروائي الأستاذ عدنان الداعوق .

* من الكتب التي تتناول الموضوعات الاسلامية « تنظيم الاسلام للمجتمع » للأستاذ محمد أبو زهرة ، و « تاريخ المذاهب الاسلامية » وهو في جزئين للأستاذ أبو زهرة أيضا ، و « مكة والمدينة في عهد الجاهلية وعهد الرسول » للدكتور أحمد ابراهيم الشريف ، و « شخصية محمد » للأستاذ محمود شلبي ، و « الدين والحياة » للأستاذ محمود البرشومي .

* في القانون والاقتصاد ظهر كتاب « تاريخ النظم القانونية » للدكتور محمود سلام زناتي ، و « الاقتصاد العالمي » لشميلتس وترجمة الأستاذين صلاح دعبول وسهام الشريف .

* من الكتب العلمية « الثلاجة الكهربائية » للمهندس صبري بولس ، و « المرض والشفاء من الفراعنة الى الآن » للدكتور مريد يني و « بيت الانسانية الكبير » وهو لمجموعة من العلماء وقد ترجمه الأستاذ عماد حاتم ، و « العلم للجميع » للأستاذ كامل الدباغ ■

برج بابل



صورة كاملة للوحة التي رسمها «بيتر بروغيل» لبرج بابل ، وتدل النوافذ المقنطرة فيها على أن الرسام كان متأثرا بأسلوب البناء الروماني القديم .

رسم لبرج بابل كما تخيله الفنان في القرن السابع عشر الميلادي .

إن قصة برج بابل ، كما ترويها الكتب القديمة ، من أعظم القصص إثارة للدهشة . وهي ذات طابع مثير ، ولون مميز . ولها مغزى مجمله أن الانسان مهما بلغ من تقدم ، ومهما أوتي من قوة أو بذل من جهد ، فانه يبقى عاجزا أمام قدرة الخالق جل وعلا .

وكانت قصة البرج موضوعا قيما لعظماء الفنانين ، فرسموا له عدة لوحات ، كل حسب تخيله وتصوره . فتخيله البعض كبرج بيزا المائل ، وتخيله آخرون كتلة هائلة من الجدران الطينية المنحنية أو مثل كعكة ضخمة كالتي تصنع في الأفراح ، ولم يصفه على حقيقته الا القليلون .

تقول القصص القديمة أن الاسكندر المقدوني حاول أن يعيد بناء البرج بعد أن رأى آثاره ، فجند لذلك عشرة آلاف عامل أزالوا الردم من حوله ، الا أن موته سنة ٣٢٢ قبل الميلاد ، حال دون الاستمرار في ذلك . وقد زار هيرودوتس ، المؤرخ اليوناني ، بابل حوالي سنة ٤٦٠ قبل الميلاد ، ورأى البرج عيانا ، وكتب في وصفه : « في وسط ذلك المكان أقيم برج عتيد قاعدته مربعة ، طول كل من أضلاعها حوالي مائتي ياردة ، يعلوه برج آخر ، وفوق هذا برج ثالث ، وهكذا الى أن يصل عدد الأبراج الى ثمانية . ويمكن الوصول الى كل منها بواسطة درج حلزوني خارجي . وفي منتصف هذا الدرج توجد مقاعد يجلس عليها من يتعبهم الصعود ، يرتاحون ثم يتابعون صعودهم . وفي البرج الثامن يوجد سرير وثير بجانبه منضدة ذهبية ، ولا يقضي الليل فيه أحد » .

وازاء وصف دقيق كهذا ، لا يشك أحد أن وجود البرج كان حقيقة تاريخية . وعلى الرغم من أن مملكة بابل بقيت تعتبر لقرون عدة أسطورة غامضة تروي قصة حضارة عظيمة ازدهرت على تلال غير معروفة الموقع تماما ، ظل كثير من المؤرخين الجادين يعتبرون قصة البرج مجـــرد أسطورة مسلية ، الى أن أجريت حفريات في تلك المنطقة عام ١٨٥٤م نتج عنها اكتشاف بناء طوبي كبير ، وبعض اسطوانات طينية كتب عليها ، بالكتابة المسمارية تاريخ ذلك البناء .

ثم أجريت حفريات قامت بها بعثة من المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا سنة ١٩٢٠ ، برآسة السير « ليونارد وولي » فأدت الى اكتشافات مهمة أثبتت أن البرج كان حقيقة تاريخية ، لا أسطورة خيالية .

وكان لبابل تاريخ عظيم ، ويعتقد أنها نشأت قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة ، وذلك عندما هاجر السومريون من جبال فارس واستقروا في منطقة ما بين نهري دجلة والفرات الخصبة الغنية . وقد بنى هؤلاء المدن ، واخترعوا الكتابة المسمارية ، وربما العجلات ، وأقاموا على الفرات قنوات للري ، واتقنوا صناعة الصياغة ، وبنوا أبراجا من الطوب الطيني . وعلى أيدي السومريين هؤلاء انبثقت حضارة بابل العظيمة .

كانت بابل على غاية في الجمال ، تمتد على طول ضفاف نهري دجلة والفرات ، بين أشجار النخيل . وكانت عاصمة الدولة ، تخترقها الشوارع الفسيحة وتقوم فيها العمارات المرتفعة ، وتحيط بها الأسوار العظيمة المتعددة . وكانت بوابتها الرئيسية « بوابة عشتار » المزدانة بصور السباع والثيران ، المرسومة على بلاط أزرق ، تعج كل يوم بحركة آلاف التجار والجنود والصناع والمزارعين . وكانت الأسلحة التي يتسربل الجند بها تلمع تحت الشمس ، بينما كانت العربات تذرع الشوارع الفسيحة الى مختلف الأماكن باستمرار . ووراء أسوار المدينة ، كانت حقول القمح وأشجار الفاكهة والحدائق الصغيرة تمتد على مدى البصر . وفي هذه المنطقة ، وعلى ارتفاع يقدر بثلاثمائة قدم ، كان يقوم برج بابل ، مشرفا على المدينة والمروج من حولها .

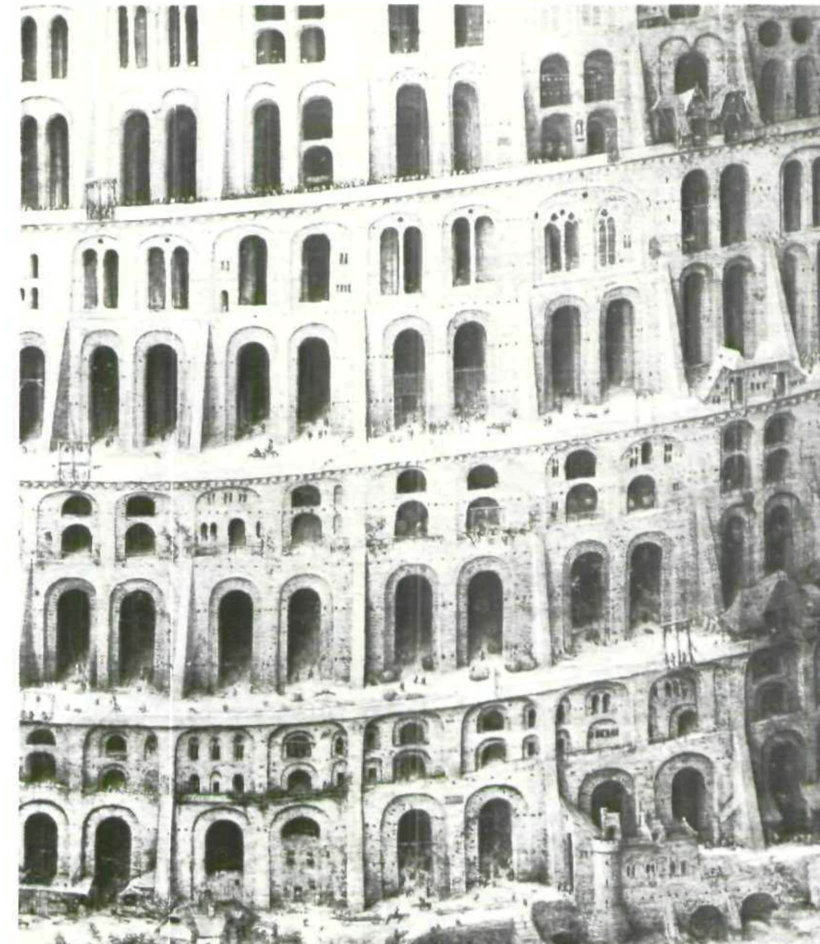
وقد وجد المعماريون وعلماء الآثار في كل مدينة من المدن المهمة التي عمرت تلك المنطقة آثار أبراج تشبه برج بابل ، وصورا أخرى مماثلة مطبوعة على الأختام أو على حجارة من الطين ، وكتابة مسمارية تذكر أسماء مختلفة للأبراج التي كانت قائمة هناك وأبعادها . وقد اكتشفوا أيضا ، في موقع مدينة الحلة الحديثة ، أساس برج ضخم مبني من الطوب المحروق يبلغ طول ضلع قاعدته ٣٠٠ قدم ، وقد أسمته



جانب من الجزء السفلي الايسر للبرج كما تخيله «بيتر بروغيل» ورسمه في لوحة محفوظة في متحف «روتردام» .

مزيد من التفاصيل أظهرتها هذه الصورة لقمة برج بابل ، كما بدا في لوحة «بروغيل» المحفوظة في « روتردام » .

الجانب الأوسط السفلي من البرج كما يبدو في اللوحة المحفوظة في متحف « روتردام » .



الكتابات المسمارية « نابوبلسر » ، ويعود تاريخه الى سنة ٦٣٥ قبل الميلاد . كما ذكرت الكتابات أن « نبوخذ نصر » جند عمالا لإكمال ترميمه بعد ستين سنة من بنائه . كل ذلك دعا العلماء الى الجزم بأن هذا البرج انما هو برج بابل ، أضخم الأبراج التي كانت تنتشر في مدن مملكة بابل الممتدة في سهول تلك المنطقة .

وقد اعتبرت تلك الأبراج من معالم مدن بابل المهمة . ومع أن كل واحد منها كان يختلف عن الآخر في بعض التفاصيل ، الا أنها كانت ذات طابع واحد : مكعبات ضخمة من الطوب لها شرفات خلفية مدرجة ، وسلالم فخمة توصل الى الأجزاء العليا ، حيث توجد أدراج حلزونية تقود الى القمة .

وقد ذكرت هذه الأبراج علماء الآثار بأهرام مصر ، ولكن الفرق بينها أن الأهرام بنيت لتكون مقابر فخمة ترتاح فيها أجساد الفراعنة حتى الحياة الأخرى ، بينما تعاقبت أجيال وأجيال على الأبراج البابلية ، تبنيها وترممها لتجعل منها أماكن فخمة للعبادة حسب طقوس جاهلية .

وترجح الأدلة أن السومريين بنوها لذلك ، لأنهم عاشوا في جبال فارس قبل هجرتهم الى العراق ، ولأنهم اعتادوا ممارسة عبادتهم الوثنية في قمم تلك الجبال ■

ح.ح.



لوحة زيتية لبرج بابل تخيلها ورسمها الفنان الفلمنكي "بيتر بروغل"
وهي محفوظة في متحف "روتردام". وقد صورها للقافلة المصور أ. فريقوس



العيد للصغار ثياب جديدة زاهية والعاب مسلية وطموح ومرح